الباب التاسع

في إثبات الواضح المشهود

من فضائح النصارى واليهود

في إثبات الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود ٢/٧٥/أ

نذكر فيه ما اشتملت عليه التوراة وإنجيل النصارى من الفضائح التي يأنف من إيرادها مجان الصبيان والمغفلون من النسوان، ولنبدأ بذكر فضائح اليهود، وتقدمهم هنا لتقدم كفرهم.

١-فضيحة عبدت قدماء اليهود عزيراً[١]، وقالوا: إنه ابن الله، وساووا في ذلك النصارى في عبادتهم المسيح، وقد أخبر الكتاب العزيز بالقصة،

---

(١) عزير: اسمه في العبرانية (عزرا) ومعناه عون، وهو كاهن ابن سرايا، لُقِّب بالكاتب أو الوراق كان من أحبار اليهود في الأسر البابلي، وقام بقيادة الجماعة التي أذن لها ملك الفرس بالعودة إلى أورشليم سنة ٤٥٧ ق.م.، ويزعم اليهود بأنه أعاد التوراة المفقودة من حفظه، وبأنه الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها، وبأنه مؤسس نظم اليهودية المتأخرة (في القرن ٥ ق.م)، وأما الحياة الخاصة لعزرا فلا يعلم عنها شيء إلا ما نسجته الأساطير اللاحقة، كما لا يعرف أين قبره، وينسب إليه سفر باسمه مكون من عشرة إصحاحات.

(ر: سفرعزرا، السنن القويم في تفسير العهد القديم ٥/ ٨٠، ٨١، قاموس ص ٦٢١، ٦٢٢).

ونظراً للدور الكبير الذي قام به عزرا فقد غلا فيه اليهود غلواً كبيراً، حتى قالوا فيه: (عزرا أوجد حل البقاء لإسرائيل، فهو من إسرائيل عن طريق التلمود كموسى عن طريق التوراة، وكما أن موسى خلق أمة من العبودية كذلك خلق عزرا أمة من السبي، وكان حَرِياً بأن يعطي الله التوراة على يد عزرا لو لم يعطها على يد موسى) وهذا القول يعزى إلى مجلس السنهدرين. (ر: المقدمة من كتاب (التلمود) بالإنكليزية EVERYMAN'S TALMUD أ. كوهين) فليس غريبا أن يذهب فريق من اليهود في تعظيم عزرا إلى حد تأليهه والقول بأنه ابن الله كما ورد ذلك في القرآن الكريم.

أما في المصادر الإسلامية فإنه لم يثبت فيها نبوة عزير بنص صحيح (ر: قصص الأنبياء ٤١٦ - ٤٢٢ لابن كثير)، بل إن كثيراً من العلماء الذين كتبوا في الأديان منهم إمام الحرمين الجويني وابن حزم وابن القيم ينسبون إلى عزير (عزرا) تحريف التوراة وتبديلها (ر: شفاء الغليل ص ٣١، الفصل

==

والمتأخرون من اليهود ينكرون ذلك ويجحدونه [1]، وليس الأمر كما يظنون بل قد صِّح أن تلك طائفة من أسلافهم يقال لها: المؤتمنية[2]، قال الله تعالى ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله . .** ـ إلى قوله ـ **. . وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً**﴾[3]، فمن عبد المسيح وعَدَّه من الآدميين إنما تأسى بهم وتسبب بأسبابهم.

==

١/ ٢٨٧، ٢٩٨، هداية الحيارى ص ٢٠٧، ٢٠٨) وقيل: إن عزرا ليس هو (العزير) كما يظن، لأن العزير هو تعريب (العازار)، فأما عزرا فإنه إذا عُرِّب لم يتغير عن حاله؛ لأنه اسم خفيف الحركات والحروف. (ر: إفحام اليهود ص ١٥٢ للسموأل المغربي)، ويقول العلامة ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير ١٠/ ١٦٧، ١٦٨: إن (عزرا) ذُكِر مصغراً، فيحتمل أنه لما عُرِّب عُرِّب بصيغة تشبه صيغة التصغير فيكون كذلك اسمه عند يهود المدينة، ويحتمل أن تصغيره على لسان يهود المدينة تحبباً فيه. أ. هـ. والله أعلم.

(١) قال الفخر الرازي في تفسيره ١٦/ ٣٣: المسألة الثانية في قوله تعالى: ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله . .**﴾ على أقوال:

الأول: قال عبيد بن عمير: إنما قال هذا القول رجل واحد من اليهود اسمه (فنحاص بن عازوراء).

الثاني: قال ابن عباس في رواية سعيد بن جبير وعكرمة: أتى جماعة من اليهود إلى رسول الله ﷺ وهم: سلام بن مشكم والنعمان بن أوفى ومالك بن الصيف وقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا ولا تزعم أن عزيراً ابن الله؟، فنزلت هذه الآية.

وعلى هذين القولين فالقائلون بهذا المذهب بعض اليهود إلا أن الله نسب ذلك القول إلى اليهود بناء على عادة العرب في إيقاع اسم الجماعة على الواحد. .

الثالث: ولعل هذا المذهب كان فاشياً فيهم ثم انقطع، فحكى الله ذلك عنهم، ولا عبرة بإنكار اليهود ذلك، فإن حكاية الله عنهم أصدق. (ر: أيضاً تفسير ابن جرير الطبري ١٠/ ١١٠ - ١١٢).

(٢) قال ابن حزم في الفصل ١/ ١٧٨: الصدوقية: ونسبوا إلى رجل يقال له (صدوق)، وهم يقولون من اثر اليهود أن العزير هو ابن الله ـ تعالى الله عن ذلك ـ وكانوا بجهة اليمن. أ. هـ.، ونقله ابن تيمية عنه في الجواب الصحيح ٣/ ١٨٥. وقال المقريزي في الخطط ٣/ ٥١١: وأما يهود فلسطين فزعموا أن العزير ابن الله تعالى، وأنكر أكثر اليهود هذا القول.

(٣) قال الله تعالى ﴿**وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون . اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون**

==

٢- فضيحة أخرى: عبدت قدماء اليهود الكواكب والزهرة / ، وقرّبت لها ٢/٤١/ب
القرابين، وقد أخبر بذلك نبي الله أرميا في نبوته، فقام أرميا فيهم فوعظهم وخوّفهم بأس الله وسرعة بطشه وذكرهم بأيامه وما صنعه من الآيات، فتواثب عليه الشعب بأسرهم، وقالوا: إنّا لا ندع البخور للزهرة والكواكب، وهمُّوا بقتله(١).

٣- فضيحة أخرى: عبدت اليهود العجل في حياة نبي الله موسى عليه السلام، وذلك حين ذهب عليه السلام إلى مناجاة ربه وترك هارون خليفة عندهم، وكانوا حين أنجاهم الله من الغرق وأصعدهم من البحر رأوا قوماً يعبدون أصناماً على صور البقر، فبقي ذلك في(٢) نفوسهم، فلما استبطأوا موسى صنع لهم السامري من الذهب عجلاً، فأقبلوا على عبادته، وتركوا عبادة الله الذي صنع لهم العجايب وأراهم الآيات(٣) فقام هارون فيهم خطيباً ووعظهم، فهمّوا أن يقتلوه فاعتزل عنهم في طائفة من قومه، وقد نطق بذلك الكتاب العزيز، قال الله تعالى: ﴿**واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم / ٢/٤٢/أ
ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين**﴾(٤).

==

الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون﴾ سورة التوبة: ٣٠، ٣١.

(١) سفر أرميا الإصحاحات (٥-١٨).

(٢) قال الله تعالى: ﴿**وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا: ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون * إن هؤلاء متبّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون * قال أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضّلكم على العالمين**﴾ سورة الأعراف: ١٣٨-١٤٠. ولم تذكر التوراة المحرفة هذه القصة.

(٣) سفر الخروج الإصحاح (٣٢).

(٤) سورة الأعراف: ١٤٨.

أ/٤٢/٢ ٤ – فضيحة أخرى: من اليهود طائفة يقال لها الأشمعية[١]، مشبهة مجسمة يعتقدون أن خالقهم في صورة شيخ أبيض الرأس واللحية[٢]، ويزعمون

(١) الأشمعية أو الشمعونية (الفريسيون) (PHARISEES): نسبة إلى شمعون الصديق (ت ١٣٥ ق.م) من بقايا رجال الكنيس الكبرى والمؤسس للدولة الأسمونية أو الحشمنية في أيام المكابيين، واشتهر إطلاق اسم (الفريسيون) بالعبرية (فروشيم) على هذه الطائفة، ومعنى هذا الاسم أنهم المفروزون أو المنعزلون الذين امتازوا عن العامة، وهم طائفة علماء الشريعة من الربانيين قديماً، ويطلقون على أنفسهم اسم (حسيديم) أي الأتقياء و(حبيريم) أي الزملاء. أما الربانيون (RABBINATE) فهم امتداد للفريسيين في أفكارهم، ويمثلون جمهور اليهود قديماً وحديثاً، وأطلق عليهم هذا اللقب لإيمانهم بأسفار التلمود التي ألّفها الربانيون وهم الحاخاميم أو الفقهاء لهذه الطائفة، ومن أبرز مبادئ هذه الطائفة ما يأتي:

أ – أنها تعترف بجميع أسفار العهد القديم، وتذهب إلى تأويل النصوص.

ب – تؤمن بأسفار التلمود.

جـ – تؤمن بالبعث، وتعتقد أن الصالحين من الأموات سيتنشرون في هذه الأرض ليشتركوا في ملك المسيح المنتظر، الذي يزعمون أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في اليهودية.

د – أشدُّ طوائف اليهود عداوة لغيرهم من الأمم، وينظرون إلى من عداهم بعين النقص والازدراء وبأنهم حيوانات خلقوا في صورة البشر لخدمة اليهود.

ومن هذه الطائفة نشأت الحركة الصهيونية والحركات الهدّامة الأخرى التي تهدف إلى إخضاع العالم لليهود. (للتوسع ر: دائرة المعارف اليهودية ١٣/ ٣٦٣ – ٣٦٦، ١٤٤٥ – ١٤٥٨، تاريخ الإسرائيليين ص ٥٤، ١١٧ – ١١٩ شاهين مكاريوس، تنقيح الأبحاث ص ٤٨ لابن كمونه اليهودي، إفحام اليهود ص ١٧٤ للسموأل المغربي، قاموس ص ٦٧٤، تمهيد الأوائل ص ١٨٧ للباقلاني، الملل والنحل ١/ ٢١٢ للشهرستاني، الفصل ١/ ١٧٨ لابن حزم، الداعي إلى الإسلام ص ٣١٨ للأنباري، الخطط ص ٥١٠ للمقريزي، الفكر الديني اليهودي ص ٢١٠ – ٢١٣ د. حسن ظاظا، الأسفار المقدسة ص ٦٣ د. علي وافي، اليهودية ص ٢٢٦ – ٢٢٩ د. أحمد شلبي).

(٢) ورد ذلك في سفر دانيال ٧/ ٩، ١٠، وسيأتي تفصيله في ص٥٥٦.

أن له في السماء الثالثة خليفة يسمُّونه الله الأصغر، ويزعمون أنه مُدَبِّر العالم[1]، وهم يقولون بالنسخ[2].

٥ - فضيحة أخرى: من اليهود طائفة يقال لهم: العنانية[3]، وهم يوحدون ولكنهم يحيلون النسخ من جهة العقل والسمع جميعاً.

---

(١) قال ابن حزم عن اليهود: واعلموا أنهم أفردوا عشرة أيام من أول أكتوبر يعبدون فيه رباً آخر غير الله عز وجل، فحصلوا على الشرك المجرد، واعلموا أن الرب الصغير الذي أفردوا له الأيام المذكورة يعبدونه فيها من دون الله عزوجل هو عندهم (صندلفون) الملك خادم التاج الذي في رأس معبودهم هذا أعظم من شرك النصارى ــ ولقد أوقفت بعضهم على هذا، فقال لي: (ميططرون) ملك من الملائكة. أ. هـ. (ر: الفصل ١/ ٣٢٨).

(٢) اتفقت اليهود قاطبة على منع نسخ شريعتهم بشريعة نبي آخر، واختلفوا في جواز النسخ عقلاً وشرعاً:
أ - فذهبت طائفة الأشعنية إلى النسخ يجوز عقلاً ولا يجوز توقيفاً (لم يقع شرعاً). (ر: تمهيد ص ١٨٧، الداعي ص ٣١٨) وعلى هذا فإن قول المؤلف عن هذه الطائفة بأنهم يقولون بالنسخ، محمول على أنهم يجوزون وقوع النسخ عقلاً لا شرعاً. ولكن يذكر الآمدي في كتابه (الأحكام ٣/ ١٠٦) بأن هذه الطائفة تقول بامتناع النسخ عقلاً.
ب ـ وذهبت طائفة العنانية إلى أنه لا يجوز عقلاً ولا شرعاً. (ر: تمهيد ص ١٨٧)، ولكن الآمدي يذكر بأنهم يجيزونه عقلاً لاسمعاً، وخالف الأنباري في قوله بأنهم يجيزونه عقلاً وشرعاً. (ر: الإحكام ٣/ ١٠٦، الداعي إلى الإسلام ص ٣١٨).
جـ - وذهبت طائفة العيسوية إلى جوازه عقلاً وسمعاً، واعترفوا بنبوة محمد ﷺ لكن إلى العرب لا إلى بني إسرائيل. (ر: الاحكام ٣/ ١٠٦، الداعي ص ٣١٩).

(٣) العنانية (القراؤون) (ANANITES - KARAITES): نسبة إلى عنان بن داود أحد كبار الأحبار في القرن الثامن الميلادي (كان موجوداً سنة ١٣٦ هـ) في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وحيث أن هذه الطائفة تتمسك بأسفار العهد القديم وحده ـ التي كانت تسمى عند اليهود (المقرا) أي المقروء ـ وتكفر بالتلمود، فقد سمي أتباع هذه الطائفة (بالقرائين) في القرن التاسع الميلادي، ويرى بعض المؤرخين أن القرائين إنما هم امتداد فكري لطائفة (الصدوقيين) القديمة. أما أعداؤهم من اليهود الربانيين فيسمون القرائين بـ (مينيم) أي الزنادقة و(أبيقوريم) أي الأبيقوريين نسبة إلى المدرسة الفلسفية اليونانية الوثنية. والعداء مستحكم بين الطائفتين إلى حد أن كلاً منها تُكَفِّر الأخرى وتُنَجِّسها وتُحَرِّم التعامل والزواج من أتباعها، ومن أبرز مبادئهم ما يأتي:
أ - تأثرّوا بالصدوقيين والعيسوية في التمسك بأسفار العهد القديم فقط وإنكار التلمود.
==

٦ - فضيحة أخرى: من اليهود طائفة تعرف بالأصبهانية[١]، أصحاب أبي عيسى الأصبهاني، يزعمون أن أبا عيسى كان نبياً مبعوثاً قبل موسى وذلك على خلاف رأي سائر اليهود، فليس تعتقد اليهود أنه كان قبل

==

ب - تأثروا بالإسلام فقالوا بأن عيسى عليه السلام ليس زنديقاً وإنما كان رجلاً من بني إسرائيل تقياً صالحاً ومصلحاً، وبأن محمداً ﷺ نبي حق إلا أنهم زعموا بأن عيسى لم يكن نبيا وبأن محمد ﷺ لم ينسخ شريعة التوراة، وقالوا: بنفي التجسيم والتشبيه عن الله عز وجل.

جـ - يخالفون سائر اليهود في أحكام السبت والأعياد، وينهون عن أكل الطيور والظباء والسمك والجراد، ويذبحون الحيوان على القفا.

د - يعتبرون مؤسس فرقتهم عنان قديساً ويجعلون له دعاءً خاصاً في صلواتهم.

هـ - يعادون الحركة الصهيونية وينفرون منها؛ لأنهم يرون أن استيلاء الكفرة الربانيين على مقدسات اسرائيل خطرٌ يهددهم.

وقد كان أكثر القرائين يقيمون في مصر والشام وتركيا والعراق وإيران وبعض أجزاء من روسيا وأوربا الشرقية والأندلس، وعددهم قليل بالنسبة إلى اليهود عموماً، حالياً يوجد منهم حوالي عشرة آلاف يتركزون حول الرملة وعدد معابدهم تسعة.

(ر: دائرة المعارف اليهودية ٢/ ٩١٩ - ٩٢٢، ١٠/ ٧٦١ - ٧٨٥، تاريخ الإسرائيليين ١١٩، ١٢٠، إفحام اليهود ص ١٧١ - ١٧٥، تمهيد الأوائل ص ١٧٨، الملل والنحل ١/ ٢١٥، الفصل ١/ ١٧٨، الداعي إلى الإسلام ص ٣١٨، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ص ٨٢ للفخر الرازي، الخطط ٣/ ٥٠٧، الفكر الديني ٢٤٧ - ٢٥٦، اليهودية ص ٢٣١ د. أحمد شلبي، اليهودية ص ١٧٨، ١٧٩ د. محمد بحر).

(١) الأصبهانية (العيسوية) (ISFAHANIANS-ISAWITES): أتباع إسحاق بن يعقوب (عوبديا) المعروف بأبي عيسى الأصفهاني، من مواليد أصفهان ببلاد فارس، الذي ادّعى النبوة وبأنه رسول المسيح المنتظر، ثم زعم بأنه هو المسيح المنتظر لليهود، وزعم بأن الله كلّمه وأرسله ليُخلِّص بني إسرائيل من السبي، فلذلك جمع جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل لتحقيق أهدافه، إلا أنه انهزم في معركة الري وقتل فيها.

ويذكر الحبر القرائي القرقشاني أن أبا عيسى ظهر في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥ م)، ويخالفه الشهرستاني الذي يقول: بأنه كان في زمن المنصور (٧٥٠ - ٧٥٤ م) وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد (٧٤٤ - ٧٥٠ م)، وقد رجحت دائرة المعارف اليهودية قول الشهرستاني على القرقشاني. وأبرز مبادئهم ما يأتي:

==

موسى نبي ألبتة، فينكرون نبوة شيث ونوح وإبراهيم وغيره ويقولون: إن موسى هو مفتاح النبوة وبكر الرسالة، والتوراة التي بأيديهم تكذبهم، إذ هي مصرحة بأن أوامر الله قد وردت على من ذكرنا / ٢/٤٢/ب وانتهضوا دعاة إلى الله، وهذه نبوة دانيال تشهد بأن بختنصر حين غزا البيت المقدس حرق كتب الله المنزلة على إبراهيم وشيث وغيره، قال دانيال: وعدتها مائة كتاب وأربعة كتب[1]. فمن زعم أنه لا نبي قبل موسى عليه السلام فنبوة دانيال حجة عليه.

٧ - فضيحة أخرى: من اليهود طائفة تعرف باليوزعانية[1] مشبهة، تزعم أن المسيح هو يوزعان، وأنه قد جاء مرة وسيأتي مرة أخرى، وتقول: إن

أ - ادعى أتباع أبي عيسى له المعجزات، واعتقدوا بأنه حي لم يمت، وأنه اختفى في كهف وسيظهر ليتم رسالته بإنقاذ اليهود.

ب - أنكر أبو عيسى التلمود، وأدخل تعديلات كثيرة على الأحكام اليهودية ضمنها كتابه (سفر همصفوت) أي كتب الوصايا، ومنها: أنه حرم الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق، وأوجب عشر صلوات على أتباعه، وألغى الطلاق وغير ذلك من التشريعات التي خالف بها أحكام التوارة.

جـ - يعترفون بنبوة عيسى عليه السلام ونبوة ومحمد ﷺ، غير أنهم يقولون: بأنهما لم يؤمرا بنسخ شريعة موسى عليه السلام، وبأن محمداً ﷺ لم يرسل إلا إلى العرب.

وقد بقيت من هذه الطائفة بقية في أصبهان ودمشق والعراق إلى القرن العاشر الميلادي ثم انقرضت. (ر: دائرة المعارف ١/ ١٨٣، ١٨٤، ٩/ ٧٧، تمهيد الأوائل ص ١٨٩، الفصل ١/ ١٧٩، الملل والنحل ١/ ٢١٥، ٢١٦، اعتقادات ص ٨٣، الخطط ٣/ ٥١٠ في الفكر الديني ص ١١٥، ٢٤٤، اليهودية ص ١٤٧ د. محمد بحر، الأسفار ص ٧٢ د. علي وافي).

(١) لم أجد في سفر دانيال بالنسخة التي بين يدي على النص الذي ذكره المؤلف، ولكن ورد في سفر الملوك الثاني الإصحاحين (٢٤، ٢٥) أن بختنصر قد أخذ خزائن بيت الرب (الهيكل) وما فيها من كنوز ثم أحرقها وأحرق ما فيها.

(٢) اليوذغانية أو اليودجانية (YUDGHANITES): أتباع يوذغان (يودجان) من همذان، وقيل: كان اسمه يهوذا، وكان تلميذاً لأبي عيسى الأصفهاني، وقام من بعده في منتصف القرن الثامن الميلادي مدعياً النبوة، ويزعم أتباعه بأنه المسيح المنتظر وأنه سيرجع من السماء مرة ثانية، ولقّبوه باسم (الراعي).

==

مـا في التوراة ممـا يظنـه اليهود على ظـاهـره كالسبت وغيره إنما هي معـانٍ وأسرار تشير إلى مجيء مـسيحهم يوزعان .

٨ - فضيحة أخرى : من اليهود طائفة تسمى البنيامية[١] أصحاب بنيامين ، موحدة غير أنها تعتقـد أن لله تعالى [مضاداً][٢] يضاده ، وهو فاعل الشر غير أنه مخلوق من خلقه .

== وأهم ما يعرف من تعـاليم يودجان التي يقال إنها نفس تعـاليم أبي عيسى الأصبهاني ، إذ إنهما أوصيا بـالتقشف والنسك ، والإكثار من الصـوم والصـلاة ، وجعلا تنـاول اللحم والخمـر حرامـا في وقت النسك ، كما أعلنـا أن طقوس السبت والأعيـاد ليست فرضـاً واجبَ الأداء في فترة تشريد اليهـود في الأرض ، كذلك عطل يودجـان عدداً من الشرائع مدعياً بأنها واجبة التنفيذ فقط عنـدما تكون لليهود دولة في فلسطين ، وزعم بأن للتوراة ظاهرا وباطنا وتنزيلا وتأويلا ، وخالف بتأويلاته عامة لليهود ، وخالفهم في التشبيه ، ومـال إلى القدر وأثبت الفعل حقيقة للعبد وقدّر الثواب والعقـاب عليه وشدد في ذلك .

وذكر الشهرستاني شعبة من اليودجانية كانت تسمى بـ (الموشكانية) أتباع (موشكان) ، وكان يوجب الخروج على مخالفيه ونصـب القتال معهم ، فخـرج في تسعة عشر رجلاً فقتل بنـاحية (قم) بـإيران .

وذكر عن جماعة من الموشكانية أنهم اثبتوا نبوة محمد ﷺ ، إلى العرب وسائر الناس سوى اليهود لأنهم أهل ملة وكتاب . أ. هـ .

ومن اليودجـانية طائفـة تسمى بـ (الشـادجانية) يتـزعمها يافث بـن علي ، ويقول أتباعهـا بإسقاط الشعائر وأحكام النجاسة والطهارة طالما شعب الله المختار يعيش مشرداً في البلاد .

وفي غضـون القـرن العاشر الميـلادي (سنـة ٩٣٨م) ــ في حكم الخلفـاء العباسيين ــ تقلص أتبـاع اليودجانية وتجمعوا كلهـم تقريبًا في مدينة أصفهان ، ومالوا إلى التأثر بـالمعتزلة من المـسلمين ، وما أن ظهـرت فرقـة اليهود القـرائين حتى اتبعـوها . (ر: دائرة المعـراف ١٦/ ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، الملل والنحل ١/ ٢١٦ ، ٢١٧ ، اعتقادات ص ٨٣ ، الفكر الديني ص ٢٤٤ - ٢٤٦) .

(١) البنيامينية (المقارية) (BENJAMINTES) : فرقة متشعبة من طائفـة العنانية (القرائين) . ، وهم أتباع بنيامين بن موسى النهاوندي الفارسي (٨٣٠ - ٨٦٠م) ، الذي نادى بتعاليمه في أوائل القرن التاسع الميـلادي ، وهي في جملتهـا مستمدة من تعـاليم (عنـان) مع بعض المسـائل التي خالفـه بها متأثراً بالمعتزلة والفـلاسفة ، فقد قرر لأتباعه أن النصوص المتشابهات في التـوراة كلها لا مؤولة ، فجعل الله روحانياً ، ومن النقص في حقه أن يتصل بالماديات إلى حد أنه أنكر أن يكون الله قد تولى عملية الخلق

==

٩ - فضيحة أخرى: من اليهود طائفة تسمى الملكية[١]، يقولون بالتوحيد غير أنهم يزعمون أن الذي خلق العالم ليس هو الله بل ملك من الملائكة أقدره الله على ذلك، قالوا/ : وهذا الملك هو الذي كلَّم موسى من ٢/٤٣/أ الشجر وفلق له البحر، ورأس هذه الطائفة «مالك الصيدلاني» من أهل الرملة[٢].

في صورة مباشرة، وبأن الله خلق الملائكة - وهم كائنات روحية - ليتولوا خلق هذا العالم المادي، كما قرر بنيامين بأن الله - لا يوصف بأوصاف، ولا يشبه شيئاً من المخلوقات ولا يشبهه شيء منها، وبأن كل ما في التوراة وسائر الكتب من وصف الله تعالى بالكلام والاستواء ونحوه فإن المراد بذلك الوصف ملك عظيم خلقه الله وقدَّمه على جميع الخلائق واستخلفه عليهم.

ويبدو لنا أن بنيامين كان متأثراً أيضاً بعقائد فرقة المغارية أو أصحاب المغار وسيأتي الحديث عنهم، وقد انضم إلى نحلة بنيامين عدد كبير من القرائين، وعظمت مكانته بين أتباعه حتى رفعوه إلى مرتبة عنان، وقد عُرِفَ أتباعه أيضاً باسم (المقاريـة أو المقاريت). (ر: دائرة المعارف ١٠/ ٧٦٧، ٧٦٨، الملل والنحل ١/ ٢١٧، ٢١٨، إفحام اليهود ص ١٧١، الأسفار ص ٧٢، ٧٣، اليهودية ص ١٥٠ د. محمد بحر).

(٢) في ص، م (مضاد) والتصويب من المحقق.

(١) الملكي (الرملية) (RAMILITES): من الفرق المنشعبة عن طائفة القرائين وهم أتباع (مالك الرملي) الذي كان في منتصف القرن التاسع الميلادي، وكان متأثرا في آرائه بالسامريين، إذ كان مالك يعتقد - مثل السامريين - بأن يد الحصاد أو عيد الأسابيع ويسمى عندهم بـ (شبوعوت) لا تكون بدايته إلا في يوم الأحد، وقد اندثرت طائفة الملكية في نهاية القرن التاسع، وذابت ضمن الفرق الكبيرة من طائفة القرائين.

وذكر المقريزي أن المالكية يزعمون أن الله تعالى لا يحيى يوم القيامة من الموتى إلا من احتج عليه بالرسل والكتب. (ر: دائرة المعارف اليهودية ١٠/ ٧٦٦، ١١/ ٨٢٦، السامريون واليهود ص ١٨٨، ١٨٩، د. سيد فراج، الخطط ٣/ ٥١١).

(٢) بلدة في فلسطين شمال شرقي القدس. (ر: المنجد في الأعلام ص ٣١٠).

١٠ - فضيحة أخرى: من اليهود طائفة يعرفون بأصحاب المغار، وإنما سموا بذلك لأنهم صنفوا كتباً وتركوها في مغار وانقرضوا، فوجدت تلك الكتب وفيها تأويلات تخالف ما عليه اليهود[١].

١١ - فضيحة أخرى: من اليهود طائفة أخرى تعرف بالفارجية أصحاب يوحنا بن فارج[٢] وكان على زمن أرميا، كانوا يعبدون صنماً يقال له «بعل»، ويقربون لنجوم السماء كما هو مذكور في نبوة أرميا، ونزلوا أرض مصر وتكلموا باللسان القبطي، والتوراة والنبوات عندهم مترجمة بالقبطي، ولا يعرفون شيئاً من العبراني ألبتة.

---

(١) أصحاب المغار أو الكهوف (المقاربة) MAGHARIYA: ذكرت دائرة المعارف اليهودية ١٤/ ١٠٨٨ أن هذه الطائفة قد انقرضت في القرن الأول الميلادي ـ نقلا عن العالم القرائي القرقشاني ـ، وبأنهم كانوا يحفظون كتبهم في كهوف التلال المحيطة بفلسطين، ومن أبرز الاختلافات العقائدية بينهم وبين بقية المجتمع اليهودي هو اعتقادهم بتنزيه الإله وعدم اختلاطه بالمادة، ورفضوا القول أن العالم خلق مباشرة بواسطة الله، ولكنه خلق بواسطة قوة وسيطة (وهو الملك) مسؤول عن الخلق، وحل محله الإله في العالم المخلوق، ونسبوا الشريعة والاتصال الإلهي إلى الملك وليس إلى الله عز وجل، ويرى بعض المؤرخين بأن هذه الطائفة هي الفرنة المعروفة باسم (الأسينيين) نظراً لتشابه عقائدها وتاريخ انقراضها. أ هـ. باختصار.

(٢) ورد في سفر أرميا أن اسم مؤسس هذه الطائفة هو: يوحانان بن قاريح ـ فعلى ذلك يكون الصواب في اسم هذه الطائفة هو (القاريحية) ـ وهو أحد رؤساء سبط يهوذا من بني إسرائيل الذين أشركوا مع الله آلهة أخرى، فعظموا الأصنام وقدموا لها القرابين، فسلط الله عليهم نبوخذ نصر فقتلهم وسبى أغلبهم إلى بابل، وكان يوحانان ممن بقي في فلسطين بعد السبي البابلي إلا أنه بعد ثورة أحد زعماء اليهود على الوالي المكلف من نبوخذ نصر، ومقتله فإن يوحانان ومن اتبعه أرادوا الفرار إلى مصر خوفا من انتقام نبوخذ نصر لكن نبيهم أرميا أخبرهم أن ذلك مخالف لإرادة الله الذي يأمرهم بالبقاء في فلسطين، فكذبوه وأخذوا ما بقي من الشعب إلى مصر، وتنبأ أرميا بموتهم هناك. (ر: سفر أرميا الإصحاحات (٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، قاموس ص ١١٠٥).

فهذه الطائفة التي يذكرها المؤلف من سلالة الشعب الذي سار مع يوحانان إلى مصر وتكلموا باللسان القبطي. والله أعلم.

وقال الشهرستاني[1]: يهود الروم على مذهب الأشمعية العراقيين.

١٢ - فضيحة أخرى: من اليهود طائفة تعرف بالعيسوية[2] أصحاب أبي عيسى الأصفهاني، وهم يعترفون بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام غير أنهم يقولون: لم يرسلا / إلا لقومهما خاصة، ولم يؤمرا بنسخ شريعة ٢/ ٤٣/ب موسى عليه السلام[3].

١٣ - فضيحة أخرى: من اليهود السامرة[4] وهم طائفتان، طائفة تقر بنبوة موسى وهارون ويوشع بن نون لاغير، وتجحد نبوة من عداهم من النبيين، والطائفة الأخرى تعترف بنبوة كل من عدا عيسى ومحمد عليهما

---

(١) هو أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، كان إماماً في علم الكلام وأديان الأمم ومذاهب الفلاسفة، يلقب بالأفضل، ولد في شهرستان سنة ٤٧٩ سنة هـ، وتوفي بها سنة ٥٤٨ هـ.
(ر: ترجمته في طبقات الشافعية ٤/ ٧٨، شذرات الذهب ٤/ ٤٩، وفيات الأعيان ٤/ ٢٧٣، الأعلام للزركلي ٦/ ٢١٥).

(٢) في م: بالعيساوية.

(٣) ذكر ذلك عنهم أيضاً الباقلاني في التمهيد ص ١٨٩، وابن حزم في الفصل ١/ ١٧٩، والرازي في اعتقادات فرق ص٨٣، وقد تقدم الحديث عن هذه الطائفة. ر: ص ٥٣٢.

(٤) السامريون (SAMARITANS): نسبة إلى مدينة السامرة القديمة التي يعيشون حولها والتي قامت على أنقاضها مدينة نابلس، وعرفوا أيضاً باسم (الشكميين) نسبة إلى مدينة شكيم (نابلس)، ويسميهم أعداؤهم من الطوائف اليهودية الأخرى باسم (الكوتيين) أي المرتدين. ويزعم السامريون أنهم البقية على الدين الصحيح، وينتسبون إلى هارون عليه السلام، ويسمون أنفسهم بـ (بني إسرائيل أو بني يوسف)، وأبرز مبادئهم الدينية ما يأتي:

أ - الإيمان بإله واحد روحاني، وأن موسى خاتم الرسل، وأن جبل جريزيم هو القبلة الصحيحة الوحيدة لبني إسرائيل.

ب - يؤمنون بالتوراة وسفر يوشع - لأن التوراة نصت على أنه خليفة موسى من بعده - وسفر القضاة باعتباره سفراً تاريخياً، وينكرون ما عدا ذلك من أسفار العهد القديم والتلمود، ونسخة التوراة التي يؤمنون بها تخالف النسخة التي بأيدي سائر اليهود، وتسمى توراتهم (بالتوراة السامرية)..

==

السلام[1]، وتزعم أن المسيح لم يبعث بعد وأنه سيأتي، ولهم خط غير الخط العبراني، وآراء غير آراء اليهود، ويخالفون اليهود في القبلة ولا يصلون إلى صخرة بيت المقدس ويتوجهون في صلاتهم إلى جبل بالشام[2] وإليه يحجون وهو قريب من نابلس، وهم الذين يقال لهم

==

جـ - ينكرون كل الأنبياء الذين جاؤوا بعد موسى ويوشع عبيها السلام، إلا أنهم ينتظرون المسيح المخلص لهم الذي يعلن عن مولده ظهور نجم يستمر طوال الوقت في سماء جريزيم.

وقد تقلص عدد أفراد هذه الطائفة فأصبحوا لا يزيدون عن بضع مئات فقط يعيشون جوار مدينة نابلس ولا يستحلون الخروج منها.

(ر: دائرة المعراف اليهودية ١٤/ ٧٢٥ - ٧٥٨، تاريخ الاسرائيليين ص ١٢٢، السامريون واليهود د. سيد فرج راشد، قاموس ص ٨ ٤٤ ـ ٤٢٥، الملل والنحل ١/ ٢١٨، ٢١٩، تمهيد الأوائل ص ١٨٨، الفصل ١/ ١٧٧، ١٧٨، الفكر الديني ص ٢٠٥ - ٢٠٩، صبح الأعشى ١٣/ ٢٦٨ للقلقشندي).

(١) ذكر الشهرستاني أن السامرة افترقوا إلى فرقتين:

الأولى: الدوستانية ومعناها (الفرقة المتفرقة الكاذبة) وهم الألفانية (أتباع رجل يقال له الألفان، ادعى النبوة وبأنه المسيح المنتظر)، وهذه الفرقة تنكر البعث وتزعم بأن الثواب والعقاب في الدنيا، (ولعل هذه الفرقة هي التي قصدها ابن حزم في الفصل ١/ ١٧٨ بقوله: إن السامرية لا يقرون بالبعث ألبتة).

الثانية: الكوستانية، ومعناها (الجماعة الصادقة) وهم يقرون بالآخرة والثواب والعقاب فيها، (ر: الملل والنحلل ١/ ٢١٨، ٢١٩).

وإن الباحثين المحدثين مثل د. حسن ظاظا، ود. سيد راشد، يذكرون بأن السامريين يؤمنون بيوم القيامة ويسمونه يوم البعث أو يوم الموقف العظيم، وذلك ناشئ من تأثر السامريين بالإسلام فيما يتعلق بيوم القيامة. والله أعلم.

(٢) وهو جبل (جرزيم) الذي يرتفع (٧٠٠ قدم) فوق مدينة نابلس، والاسم الثابت لهذا الجبل في التراث السامري هو: (جريزيم ـ بيت ايل ـ لوزا) وبأن جنة عدن سوف تكون عليه، وبأنه البداية إلى السماء، (ر: قاموس ص ٢٥٨، السامريون واليهود ص ١٣١ - ١٣٣).

لا مساس، ويرون تحريم أكل ما مسَّه غيرهم[1]، واليهود تزعم أنهم ليسوا من بني إسرائيل[2].

وبالجملة فقد ذكر العلماء أن عدة فرق اليهود إحدى وسبعون فرقة[3]، وكل فرقة من هذه الفرق تضلل الأخرى وتُبدِّعها ، والمعروف الآن منهم أربع فرق، فرقة تعرف بالقرائين، وفرقة تعرف بالربانيين، وفرقة تعرف بالعيسوية، وفرقة / ١/٤٤/٢ تعرف بالسامرة.

---

(١) تذكر بعض المصادر الإسلامية طائفة السامرية باسم (الإمساسية) نسبة إلى أنهم يرون تحريم أكل ما مسه غيرهم، وقيل: نسبة إلى السامري الذي صنع العجل لبني إسرائيل وزيَّن لهم عبادته في زمن موسى فعاقبه الله عز وجل. ﴿**قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس وإن لك موعداً لن تخلفه...**﴾ سورة طه: ٩٧.

(ر: الخطط ٣/ ٥٠٨ للمقريزي، صبح الأعشى ١٣/ ٢٦٨ للقلقشندي).

(٢) يزعم اليهود أن السامريين جاؤوا من بابل، وأسكنهم ملك آشور مكان الأسباط العشرة من بني إسرائيل (في المملكة الشمالية) الذين أخذهم آشور سبياً إلى بابل، فامتلك القادمون الجدد السامرة واستوطنوا بها، ويعتمد أصحاب هذا الرأي على ما ورد في سفر الملوك الثاني الإصحاح (١٧). أما المعتدلون من اليهود فيرون أن أصل السامريين يرجع إلى من بقي من اليهود الجهلة الضعفاء في فلسطين بعد السبي البابلي (ر: ؛ دائرة المعارف العبرية المجلد العاشر المقال الخاص بالسامرة، نقلا من الفكر الديني ص ٢٠٧، د. ظاظا، السامرين واليهود ص ٢١ - ٢٤ د. سيد راشد).

(٣) ذكر ذلك الأسفرائيني في كتابه التبصير في الدين ص ١٥٠، والشهرستاني في الملل ١/ ٢١٩ اعتماداً منهم على حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة». أخرجه أبو داود ٤/ ١٩٨، والترمذي ٤/ ١٣٤ وابن ماجه ٢/ ٤٧٩ والحاكم ١/ ١٢٨، وأحمد ٢/ ٣٣٢، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والألباني (ر: الأحاديث الصحيحة ١/ ٣٥٦ - ٣٦٧ ح ٢٠٣، ٢٠٤).

فأما هذه الفرق الأربع فيزعمون أنهم أهل توحيد لا يذكر بينهم اختلاف في ذلك. فأما القراءون فمشبهة، وأما الربانيون فمعتزلة[1]، وأما العيسوية فتقرُّ بنبوة عيسى ومحمد عليهما السلام، وأما السامرة فهم طائفتان كما تقدم.

الكلام على اليهود:

أما العيسوية المعترفون بنبوة محمد عليه السلام ورسالته إلى العرب خاصة، فنقول لهم: إذا صدقتم محمداً في قوله (إنه نبي) لزمكم تصديقه في كل ما أخبر به، ومن جملة ما أخبر به أنه رسول الله إلى الناس أجمعين، قال الله تعالى:

﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا﴾[2].

فإن قالوا: (الناس) أهل مكة لا غير، إذ كل ما في كتابه من هذه الآي فهو مخاطب به أهل مكة، وما كان منه **﴿يا أيها الذين آمنوا﴾** فالمخاطب به أهل المدينة.

قلنا: لا نُسلِّم لكم هذا التأويل، بل الناس المذكورون بالألف واللام لاستغراق جميع الناس من بني آدم، وقد أكَّده بقوله **﴿جميعًا﴾**، والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على/ عبده ليكون للعالمين** ٢/ ٤٤/ ب
نذيراً﴾[3]، وقوله تعالى: **﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾**[4]، **﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾**[5].

---

(١) قال الشهرستاني عن اليهود: وأما القول بالقدر: فهم مختلفون فيه حسب اختلاف الفريقين في الإسلام، والربانيون كالمعتزلة فينا (الذين يقولون بنفي القدر). والقراءون كالمجبرة والمشبهة (الذين ينفون الفعل حقيقة عن العبد ويضيفونه إلى الله تعالى). (ر: الملل والنحل ص ٢١٢).

(٢) سورة الأعراف: ١٥٨.

(٣) سورة الفرقان: ١.

(٤) سورة سبأ: ٢٨.

(٥) سورة الأنبياء: ١٠٧.

وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «بعثت إلى الأحمر والأسود»[1] يريد العربي والعجمي. وقد تواتر عنه عليه السلام أنه لم يختص بدعوته قوماً دون قوم، وأنه أرسل رسله إلى ملوك الأطراف والنواحي يدعوهم إلى دينه، والتواتر لا سبيل إلى رده، فمن صدَّقه عليه السلام في بعض أقواله لزمه تصديقه في جميع أقواله.

وقد قتل عليه السلام المخالفين لملته من اليهود[2] كما قتل موسى ويوشع وداود عليهم السلام من خالفهم من أهل الأديان، فهذا قولنا للعيسوية.

فأما غير العيسوية فإنهم أنكروا النسخ، فمنهم من أنكره عقلاً ومنهم من أنكره شرعاً. فالذين أنكروه عقلاً قالوا: يستحيل في العقل أن يتعبد الله عباده بشرع يأمرهم فيه بأمر في وقت ثم يأمر بنقيضه في وقت آخر، قالوا: وهذا هو البداء[3]، والبداءه لا يجوز إلا من جاهل بعواقب الأمور فأما الباري فلا يجوز منه ذلك، إذ الأمر الأول إن كان حقا / وحكمة فنقضه باطل وسفه وذلك لا ٢/٤٥/أ

---

(١) أخرجه مسلم ١/ ٣٧١ عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ والبخاري بلفظ: (وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس كافة) (ر: فتح ١/ ٤٣٥، ٤٣٦).

(٢) كيهود بني قريظة، ويهود خيبر (ر: السيرة لابن هشام ٣/ ٣٢٤ - ٣٥٤، ٤٥٥ - ٤٦٨) وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار) أخرجه مسلم ٢/ ١٤٣.

(٣) قال الشهرستاني في الملل والنحل ١/ ١٤٨: البداء له معان:

البداء في العلم: وهو أن يظهر له خلاف ما علم، ولا أظن عاقلاً يعتقد هذا الاعتقاد في الله عز وجل.

والبداء في الإرادة: وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم.

والبداء في الأمر: وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك، ومن لم يُجَوِّز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة. أ هـ.

والفرق بين النسخ والبداء من وجهين:

أحدهما: أن البداء: هو أن يمر بالأمر والآمر لا يدري ما يؤول إليه الحال. والنسخ: هو أن يأمر بالأمر والآمر يدري أنه سيحيله في وقت كذا ولا بد قد سبق ذلك في علمه وحتمه من قضائه.

==

يليق بالحكيم سبحانه، فالتزموا ردَّ ما جاء من الناسخ بعد موسى عليه السلام، و[1] إنكار شرع من كان قبله من شرائع الأنبياء فالتزموه، وقالوا: ليس قبل موسى نبي أصلاً، فردوا نبوة شيث وإدريس ونوح وإبراهيم ولوط وغيره، وقالوا: أول الأنبياء موسى بن عمران عليه السلام، وزعموا أن الأنبياء أربعة و [عشرون][2] نبياً أولهم موسى[3].

فيقال لهم: إذا كان إنما مستندكم تعاقل العقلاء وتعارفهم وقياس الغائب على الشاهد، فاعلموا أن السيد قد يأمر عبده في وقت بفعل وينهاه عنه في وقت آخر، لعلمه بمصلحته في إيقاع الفعل وتركه في الوقتين جميعاً، وكذلك الوالد قد يأمر ولده في أول نشوئه بتحصيل الفضائل، فإذا بلغ مبالغ الرجال واحتاج إلى ما لا بد له منه أمره بالكسب، ونهاه[4] عما كان يأمره به أولاً لعلمه

==

والثاني: أن سبب النسخ لا يوجب إفساد الموجب لصحة الخطاب الأول، والبداء يكون سببه دالا على إفساد الموجب لصحة الأمر الأول، مثل أن يأمره بعمل يقصد به مطلوبا، فيتبين أن المطلوب لا يحصل بذلك الفعل فيبدو له ما يوجب الرجوع عنه. (ر: نواسخ القرآن ص ٨٣ لابن الجوزي، الإحكام في أصول الأحكام ٤/ ٤٤٦ لابن حزم).

(١) في ص، م (وليفهم إنكار) ولعل حذف كلمة (ليفهم) موافق لسياق الكلام.

(٢) في ص م: (عشرين) والصواب ما أثبته.

(٣) يحتل موسى عليه السلام مكان الصدارة بين الأنبياء عند اليهود، ويقولون: إن كل معجزة لنبي جاء بعده ــ وهو على دين موسى ويدعو إليه ـ فهي كالمعجزة له، ويقول موسى بن ميمون في الأصل السابع من (الأصول الثلاثة عشر) التي جعلها ابن ميمون أركان الإيمان اليهودي: أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن نبوة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقاً، وأنه كان أباً للأنبياء، من جاء منهم قبله، ومن جاء بعده. (ر: الفكر الديني اليهودي ص ١٣٤ د. ظاظا). ويبدو تأثر علامة اليهود في العصور الوسطى الإسلامية ابن ميمون طبيب الدولة الأيوبية ـ يبدو تأثره واضحاً بالعقائد الإسلامية في الأصول التي وضعها، ففي النص السابق الاعتراف بنبوة الأنبياء السابقين على موسى عليه السلام مع أن التراث اليهودي يعتبرهم مجرد آباء للشعب الإسرائيلي.

(٤) ليست في م.

بمصلحته في الحالين، وكذلك الطبيب الماهر قد ينهى العليل في وقت عن الأغذية المقوية للمادة، ويأمره باستعمال اللطيف الذي لا / يخصب البدن ٢/٤٥/ب ويزيد في المادة، فإذا نَقِه[١] عاد فأمره بما كان ينهاه عنه لمعرفته بما يصلحه في الحالين، وقد عَلِم أولاً أنه سينهاه عما أمره به ويأمره بتناول ما نهاه عنه أولا، وإذا كان ذلك حسناً من الوالد في ولده والطبيب في سقيمه، فما المانع أن يتعبد الله عباده في وقت بحكم يعلم أن مصلحتهم في التكليف به، ويطلق لهم الأمر من غير تقييد بمدة ليكون أدعى[٢] إلى المسارعة والامتثال، ثم يأمرهم في وقت آخر بترك تلك التكاليف واستعمال غيرها؛ لعلمه بكونها مصلحة لهم في ذلك الوقت، والشرائع مصالح للعباد، والله تعالى هو العالم بمصالح عباده على اختلاف أحوالهم وأوقاتهم! فما الذي جَّوز ذلك للوالد والطبيب مع الجهل[٣] بالعاقبة، وأحاله[٤] من العَالِم بعواقب الأمور الذي لا يخفى عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء المدبر لعباده كما يشاء، ﴿**ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين**﴾[٥].

واعلم أن النسخ لا يدخل على الأخبار؛ لأن المخبر عنه يصير كذباً، وإنما يدخل / على الأحكام؛ لاختلاف المصالح باختلاف أحوال المكلفين ٢/٤٦/أ واختلاف الأوقات، فهذا بيان جواز النسخ عقلاً[٦].

---

(١) نقه من مرضه نقهًا ونقوها: أي صحّ وبرئ وفيه ضعف (ر: القاموس ص ١٦١٩).

(٢) في م: إذعان.

(٣) في م: الجهد.

(٤) في م: وإحالته.

(٥) سورة الأعراف: ٥٤.

(٦) النسخ في اللغة: قد يطلق بمعنى الإزالة. ومنه يقال: نسخت الشمس الظل أي أزالته، وقد يطلق بمعنى نقل الشيء وتحويله من حالة إلى حالة مع بقائه في نفسه، كنسخ الكتاب، ومنه قوله تعالى: ﴿**إنَّا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون**﴾ سورة الجاثية: ٢٩. ==

فأما جوازه شرعاً فيستدل عليه من توراتهم التي يعتقدون صحتها ليكون أفحم لهم وأقطع لعذرهم ونحن نثبت ما فيها من النسخ ، والله الموفق والمعين .

فنقول : إن في توراتهم عدة مواضع تدل على تبدل الأحكام وذلك لاختلاف مصالح الأنام .

الموضع الأول : قالت التوراة في السفر الأول يدعى سفر الخليقة (أن الله تعالى خلق آدم وخلق من ضلعه حواء زوجه وبارك عليهما وقال : انميا وأكثرا واملآ[1] الأرض ، وتسلطا على سمك البحور وطائر السماء والأنعام والدواب

==

وفي الاصطلاح : رفع الحكم الشرعي بدليل شرعي متأخر.

ودليل إثباته عقلاً هو : أن التكليف لا يخلو أن يكون موقوناً على مشيئة المُكلِّف أو على مصلحة المُكلَّف ، فإن كان الأول فلا يمتنع أن يريد تكليف العباد عبادة في مدة معلومة ثم يرفعها ويأمر بغيرها . وإن كان الثاني فجائز أن تكون المصلحة للعباد في فعل عبادة في زمان دون زمان ، ويوضح هذا أنه قد جاز في العقل تكليف عبادة متناهية كصوم يوم وهذا تكليف انقضى بانقضاء زمان .

وأما عن الشبهة العقلية التي احتج بها المنكرون للنسخ ، فنقول : بأننا لا نسلم بما قالوه أن النسخ يستلزم البداء على الله تعالى أو العبث ، بل إن النسخ يكون لحكمة معلومة لله تعالى الذي أحاط بكل شيء ولم تخف عليه ، غاية الأمر أن مصالح العباد تتجدد بتجدد الأزمان وتختلف باختلاف الأشخاص والأحوال ، وأسراره وحكمه سبحانه وتعالى لا تتناهى .

فإذا نسخ الله تعالى حكما بحكم لم يخل الحكم الثاني من حكمة جديدة غير حكمة الحكم الأول ، وما يظهر في النسخ من جديد فإنما يعتبر جديداً بالنسبة لنا ، أما بالنسبة لله عز وجل فقد سبق علمه المحيط الشامل وعليه فلا يستلزم نسخ الله تعالى لأحكامه البداء والعبث وإنما هو كما قيل : تغيير في المعلوم لا في العلم . (للتوسع ر: الداعي إلى الإسلام ص ٣١٩ وما بعدها ، تمهيد الأوائل ص ٢١٢ - ٢١٧ ، نواسخ القرآن ص ٨٠ لابن الجوزي ، الإحكام ٢/ ٢٣٨ - ٢٤٠ للآمدي ، إظهار الحق ص ٢٩٥ - ٢٩٦ لرحمة الله ، فتح المنان في نسخ القرآن ص ٨٠ - ١٨٦ علي العريفي ، النسخ بين الإثبات والنفي ص ٤٠ - ١٣٢ د . محمد فرغلي) .

(١) في م : واملا.

وكل شيء على وجه الأرض، وقال لهما سبحانه: هائنذا[1] قد أعطيتكما كل ما على وجه الأرض من شجر ودواب وعشب وطير من البحر والبر ليكون لمأكلكم)[2].

فهذا إخبار من الله أنه قد أباح لآدم وزوجه جميع الحيوان مطلقا لمأكلهم، فهل ما أباحه الله لآدم مباح لكم / في شرع التوراة أم قد حرَّم عليكم كثيرا من ذلك؟! ٢/٤٦/ب

وهاهنا لا يحيرون جوابا ولا يجدون إلى الانفصال سبيلا، فقد قال الله في التوراة لموسى وهارون (قولا لبني إسرائيل لا تأكلوا من الأنعام التي على وجه الأرض إلا ما شق ظلفه وهو يجتر، الجمل حرام عليكم، والخنزير حرام، ولا تأكلوا من طير السماء النسر والحدأة والغراب ولا أجناسهم، ولا البوم والعقعق والصعوة والرخمة وأجناسهم ولا الهدهد والطاوس فهذا كله، عليكم حرام)[3]، ومعلوم عندكم أن هذا مما أبيح لآدم وحواء بنص أول التوراة، فهل[4] النسخ إلا أن يبيح الله الشيء على لسان نبي ثم يحرمه على لسان نبي آخر أو بالعكس، فكيف تقرأ اليهود ذلك ثم تكفر به؟! وإذا كفروا بما في أيديهم من كتب الله، كيف يطمع فيهم أن يؤمنوا بما ليس في أيديهم من عند الله؟!

الموضع الثاني: قالت التوراة (كان آدم يزوج بنيه من بناته بإذن الله له في ذلك)[5] حُرم بعد ذلك[6] فهذا نسخ/ لشرع آدم نفسه، فإن قالوا: ذلك ٢/٤٧/أ

---

(١) في م: ها أنا.

(٢) تكوين ١/ ٢٧ - ٣٠.

(٣) لاويين ١١/ ١ - ١٨.

(٤) في م: فهذا.

(٥) سفر التكوين ٤/ ١٧ - ٢٢.

(٦) ورد تحريم ذلك في سفر اللاويين ١٨/ ٩ (عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة في البيت أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها. . .) و ر: أيضا سفر التثنية ٢٧/ ٢٢.

لضرورة عدم اتساع الخلق، قلنا: قد كان الله تعالى قادرا على أن يخلق لهم أزواجا ولا يحوجهم إلى وطىء الأخوات.

الموضع الثالث: قالت التوراة (جمع إسرائيل بين أختين في عصمته وهما[1] ليئا وراحيل [ابنتا][2] لابان)[3] وإسرائيل نبي ثابت العصمة وهو عند اليهود والنصارى من الصالحين لاغير، وهو إسرائيل[4] الله، ومنصبه يَجِل[5] عن الإقدام على ما لا يحل ومن ظن به سوى ما ذكرناه فقد قدح فيه، ثم قالت التوراة في السفر الثالث منها (لاتنكح المرأة على أختها فتغبطها وتجتلى عورتها في حياتها ولا يقترب من امرأة طامث في حيضها فمن فعل شيئا من هذه النجاسات منكم أو ممن يقبل إلي ويسكن بينكم فلتبد تلك النفس)[6].

وهذا فاعلموا تحريم ما كان مباحا لإسرائيل، ولا جواب لكم عن ذلك.

الموضع الرابع: (قال الله تعالى في التوراة: إبراهيم، قال: هائنذا يارب.
قال: اذهب بابنك الذي تحبه فقربه لي قربانا / على أحد الجبال التي آمرك، ٢/٤٧/ب
فبكّر إبراهيم وذهب بالولد وبنى مذبحا وأوثق الولد ورفعه على المذبح وجذب السكين لينحره فناداه الملك: إبراهيم إبراهيم لا تذبحن الصبي فقد علم الله أنك تخشاه إذ لم تبخل عليه بولدك، ورفع إبراهيم بصره فرأى الكبش فذهب فأخذه ورفعه على المذبح)[7]، وهذا فاعلموا أنه لامعنى له غير النسخ،

---

(١) في ص: (هم) والتصويب من نسخة م.

(٢) في ص، م (ابنتي) والصواب ما أثبته.

(٣) تكوين ٢٩/ ١٦ - ٣٠.

(٤) تقدم التعليق على قول المؤلف بأن اليهود والنصارى لا يؤمنون بنبوة يعقوب عليه السلام. (ر: ص ٤٣٢).

(٥) في م: بحد.

(٦) لاويين ١٨/ ٩.

(٧) تكوين ٢٢/ ١ - ١٤ في سياق طويل.

أفتقولون : ـ ويلكم ـ إن ذلك بداء من الله ـ تعالى الله عن كفركم علوا كبيرا ـ .

الموضع الخامس : الجمع في النكاح بين الحرة والأمة ، قد كان جائزا في شرع يعقوب فجمع في عصمته بين حُرتين وأمتين[1] ثم نسخته التوراة بعد ذلك فلم تجزه .

الموضع السادس : قالت التوراة (قال الله تعالى لموسى : اخرج أنت وشعبك من مصر ليرثوا الأرض المقدسة التي وعدت بها أباكم إبراهيم أن أُوَرِّثها نسله[2] فلما صار بهم موسى في التيه ـ قالت التوراة ـ قال الله تعالى : لا تدخلوها / أنتم ٢/٤٨/أ لأنكم أغضبتموني)[3] فلم يدخلوها هم ولا موسى وهارون ولم يدخلها أحد ممن خرج من مصر سوى رجلين يوشع بن نون وكالاب[4] بن يوفينا ، وهذا نسخ لشرع موسى نفسه .

---

(١) سفر التكوين ٣٠/ ١ - ٩ وذكر بأن اسم الزوجتين الحرين هما راحيا وليئة ابنتا لابان ، واسم الأمتين هما : بلهة جارية راحيل ، زلفة جارية ليئة .

(٢) سفر الخروج ٣٣/ ١ ، ٢ .

(٣) سفر العدد الإصحاح (١٤) .

(٤) ورد في النص أن اسمه : كالب : وهو اسم عبري معناه كلب ، وهو ابن يفنه وكان رأسا لأحد آباء سبط يهوذا ، وأحد الجواسيس الاثني عشر الذين أرسلهم موسى ليتجسسوا على أرض كنعان ، وأحد أفراد الجماعة التي أقامها موسى قبل الدخول إلى أرض كنعان لتقسيم الأرض ، وكان عمره ٨٥ سنة لما تم الاستيلاء على أرض كنعان . (ر : قاموس ص٧٥٨) .

الموضع السابع: قالت التوراة (قال الله تعالى لموسى: تنح عن هذا الشعب الخبيث القلوب القاسي الرقاب، فإني أهلكه وأبيده عن جديد الأرض وأبدلك شعباً خيراً منه، فلم يزل موسى يصلي ويشفع فيهم حتى عفا الله عنهم فلم يهلكهم ولم [يبدهم(١)](٢) وهذا نسخ.

الوضع الثامن: تحريم السبت(٣)، وقد أقام الناس من لدن آدم إلى زمن موسى لم يُتعبَّدو بتحريم الأعمال فيه، بل كانت الأعمال فيه مباحة ثم حرِّمت على لسان موسى.

ولولا إيثار الاختصار لتلونا عليكم من هذا الجنس [كثيرا](٤)، فهذه نصوص التوراة تصرح بنسخ الأحكام وتبديل الحرام حلالا والحلال حراما، فمن أشد كفرا وأبين ضلالا من قوم يقرؤون التوراة ثم يكفرون بها / بعد اعتقاد ٤٨/٢ب صحتها وينسبون أنبياء الله إلى تعاطي المحرمات ولاستباحة الفروج بغير أمر الله؟!! ومن قدح في أنبياء الله فقد كفر بالله. ولو كان اليهود أولي أحلام لما رَدُّوا النسخ واعتلوا بأنه بداء مع وصفهم الله تعالى بالندم والأسف وذلك أشد شناعة من البداء، فرووا(٥) في السفر الأول من توراتهم (أن الله رأى ظلم الناس

---

(١) في ص، م(يبيدهم) والصواب ما أثبته.

(٢) سفر الخروج ٣٢/ ٩-١٥، يرى العلامة ابن حزم ١/ ١٨١، أن ذلك ليس بنسخ فقد قال بعد ذكره للنص السابق: وهذا هو البداء بعينه ـ الذي هو أشد من النسخ ـ والكذب المنفيان عن الله تعالى، لأنه ذكر أن الله تعالى أنه سيهلكهم ويقدمه على غيرهم ثم لم يفعل، فهذا هو الكذب بعينه ـ تعالى الله عنه ـ أهـ (ر: الفصل ١/ ١٨١).

(٣) خروج ٢٠/ ٨ - ١٠ ونصه (اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك. , , وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك).

(٤) في ص، م (كثير) والصواب ما أثبته.

(٥) في م: وقرروا.

وشرهم قد كثر على وجه الأرض فأسف الله إذ خلق آدم على الأرض فقال: لأزيلن ما على الأرض من البشر والأنعام والدواب وطير السماء لأني قد ندمت على خلقي إياهم)،[1] فوصفوا ربهم تعالى بالأسف والندم الدالين على غاية النقص والجهل بالعواقب ثم أنكروا النسخ وهو ضد البداء، إذ النسخ أمر بمصالح العباد في أوقاتهم وأحوالهم.

وقد حكوا في توراتهم ما هو أقبح من البداء صريحا فرووا في السِّفر الأول من التوراة (أنه لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا ونكحوا منهم ما أحبوا قال الله: لا تسكن الروح بعدها في بشر ولتكن أيامهم مائة وعشرين سنة)[2]/ فهذا إخبار ١/٤٩/٢
من الله أنه لا يعمر بشرا أكثر من مائة وعشرين سنة ولا يسكن الروح في بشر، ثم نصت التوراة بعد هذا القول أن أرفخشد عاش من بعد ما ولد له شالح أربعمائة وثلاث سنين[3]، وعاش رعوا من بعد ما ولد ساروج مائتي سنة وسبع سنين[4]، وعاش إبراهيم مائة سنة [وخمسا وسبعين][5] سنة[6]، وعاش إسحاق مائة سنة وثمان سنة[7]، وجماعة كثيرة عُمّروا أعمارا تزيد على ما حكوه عن الله تعالى. وهذا أشد من البداء لأنه كذب في الأخبار، وإذا كان هذا [جائزاً][8] عندكم معشر اليهود فكيف تمنعون النسخ وتتعللون[9] بأنه بداء من الله؟!!

---

(١) تكوين ٦/ ٥ - ١٣ .

(٢) تكوين ٦/ ١ - ٣ .

(٣) تكوين ١١/ ١٠ - ١٣ وفيه أن اسمه (أرفكشاد) وهو ابن سام بن نوح عليه السلام.

(٤) تكوين ١١/ ٢٠، ٢١، وهو رعو بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفكشاد.

(٥) في ص (خمس وسبعون) والصواب ما أثبته.

(٦) تكوين ٢٥/ ٧ .

(٧) تكوين ٣٥/ ٢٨ .

(٨) في ص (جائز) والصواب ما أثبته.

(٩) في م: وتتقولون.

وقد جاء في قصة [حزقيا][1] ملك يهوذا (أنه مرض فأوحى الله إلى أشعيا النبي عليه السلام أن قل لحزقيا يوصي فإنه ميت من علته هذه، فدخل عليه أشعيا وأخبره بوحي الله إليه في شأنه، فاستقبل حزقيا الجدار وبكى وتضرع إلى الله فنزل الوحي على أشعيا النبي قبل خروجه من الدار يقول له، إن حزقيا يقوم من علته وينزل إلى الهيكل / بعد ثلاثة أيام وأنه قد زيد في عمره خمس[2] عشرة سنة)[3]. ٢/٤٩/ب

وإذا كانت كتب اليهود تشهد بمثل هذه الأشياء لم يلتفت إليهم بعدها في رد النسخ. هذا وقد ابتدأ الله تعالى العالم بعد أن لم يكن وفرض تكاليف بعد أن لم تَجِب وأحدث أمورا ولم يدل ذلك على البداء، وقد نقل سبحانه عباده من حال إلى حال ومن صحة إلى سقم ومن حياة إلى موت ولم يدل على البداء، وكذلك نقلهم من جنس من التكاليف إلى جنس آخر لا يدل على البداء، وكأنه سبحانه يأمر عباده بالأمر فيتمرنوا عليه المدة الطويلة حتى يصير عندهم من قبيل الاعتياد فيأمرهم بتركه والتزام سواه اختباراً لهم وامتحانا لطاعتهم له، وهل امتثالهم لأمره طاعة محضة أو عادة مستصحبة[4]، وكل ذلك منه حسن، فلا يدل شيء من ذلك على البداء والاستدراك.

فإذا وردت العبارة مطلقة بلفظ يوهم التأبيد ثم نسخت تَبيَّناً[5] أن المراد بها وقت دون وقت. وقد تمسك اليهود بقول التوراة: (تمسكوا بالسبت أبدا الدهر)[6] / فظنوا أن ذلك للتأبيد وأن لفظه نص لا يحتمل التأويل وقالوا: ٢/٥٠/أ

(١) في ص، م: حزقيال، والتصويب من النص، وحزقيا: تقدمت ترجمته ر: ص ٣٧٧.
(٢) في م: عشر.
(٣) سفر أشعيا ٣٨/١ - ٥.
(٤) في م: مستطحبه.
(٥) في م: بينا.
(٦) سفر الخروج ٣١/١٦، ١٧.

أمرت التوراة بقتل من أحل السبت وجوز فيه الأعمال[1]. قالوا: وقد أحدث سلفنا في السبت حدثا فمسخوا.

واعلم أنهم لما ألزموا بما في التوراة والنبوات من الأحكام التي نسخت وتجدد غيرها عدلوا إلى هذه اللفظة، وليس كما ذهبوا إليه إذ قوله (تمسكوا بالسبت أبد الدهر) يحتمل صلة محذوفة وهي (مالم يأتكم نبي يأمركم بحِلِّه) والدليل على هذا الاحتمال أنه لو قرن بآخر الكلام وسيق معه لم يتناقض ولم ينب عنه، وإذ كان الكلام يقبله حملناه عليه إذ نبوة عيسى ومحمد لا سبيل إلى ردها.

وقول التوراة إن صح يمكن تخصيصه، فواجب أن يُخَصَّ لضرورة الجمع بين أقوال الصادقين حتى لا تقع المعارضة بين الأدلة القطعية، فتحريم العمل في السبت حكم من جملة الأحكام التكليفية فنسخه كنسخ سائر الأحكام، والدليل على أن قوله (تمسكو بالسبت أبد الدهر) / ليس للتأبيد بل لدهر مخصوص وزمان مؤقت، قول التوراة (قال الله تعالى لنوح لما كثرت خطايا البشر: لا تسكن روحي[2] في البشر إلى الدهر[3] - ثم قال بعد ذلك لموسى عليه السلام: يعمل لك قبة الزمان [بصلئيل][4] الذي من سبط يهودا[5] الذي ملأته روح الله بالعلم والحكمة - وقال أيضا - : كذلك في رفيقه الذي من سبطدان)[6] وهما من البشر، فوضح أن لفظة الدهر لا تقتضي التأبيد. ٢/ ٥٠/ب

---

(١) سفر الخروج ٣١/ ١٥، سفر ١٥/ ٣٢ - ٣٦.

(٢) في م: روح.

(٣) تكوين ٦/ ٣.

(٤) في ص، م: بصل إلي، والتصويب من النص.

(٥) فيم: اليهود.

(٦) خروج ٣١/ ١، ٢، ٦، ٣٥/ ٣٠ - ٣٥.

وفي نبوة حزقيال أيضا (أن الله تعالى قال له: تنبأ على هذه العظام وأنا أبث روحي فيهم فيحيون، ففعل)(١) فقد سكنت روح الله في البشر.

وفي التوراة (أن الله تعالى قال لإبراهيم: إن أرض الشام له ولذريته من بعده أبد الدهر)(٢) في عدة مواضع من التوراة وذلك لا يتقاضى إلا دهرا مخصوصا بدليل خروجها من أيديهم(٣)، فلم يرد سبحانه إلا المدة التي أقامت في أيديهم.

وقالت التوراة: (إن الله تعالى قال لموسى: اصنع قبة الزمان ومن صفتها كيت وكيت وليلبس هارون ثيابا للتكهن من صورتها كذا وكذا للدهر)(٤)، وليس بقاء القبة ولا هارون / مؤبدا. ٢/٥١/أ

---

(١) سفر حزقيال ٣٧/ ١ - ١٠.

(٢) ورد النص في سفر التكوين ١٧/ ٨ كالآتي (وأعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا) وتكرر في نفس السفر ١٣/ ١٤ -١٧ ١٥/ ١٨ - ٢١. إلا أن هذا الوعد من الله كان مشروطا بالإيمان والطاعة لله عز وجل والتمسك بشرائعه وفرائضه، فيستحقه من آمن بالله وطبق شريعته، ويحرم منه من أشرك مع الله آلهة أخرى أو كذّب بأنبيائه ونقض العهد والميثاق، فحينئذ تحل عليه اللعنة والغضب من الله كما ورد ذلك في سفر اللاويين ٢٦/ ١ - ٤٦ في سياق طويل جدا، كما أن هذا الوعد مع إبراهيم عليه السلام كان بعد ميلاد إسماعيل وقبل ميلاد يعقوب عليهما السلام، فالسياق يدل إذن على أن المراد، بالوعد هو إسماعيل عليه إسلام وذريته من بعده.

(٣) فقد أخرجهم الآشوريون إلى بابل سنة ٧٢٢ ق. م (ر: سفر الملوك الثاني ١٧/ ٦) وأخرجهم كذلك نبوخذ نصر البابلي سنة ٥٨٧ ق. م (ر: المرجع السابق ٢٥/ ٧، وسفر أخبار الأيام الثاني ٣٦/ ٥ - ٢١) وقد كان ذلك عقابا لهم من الله عز وجل لكفرهم بالله وعبادتهم الأصنام وقتلهم الأنبياء ونقضهم الميثاق وفسادهم في الأرض، فكتب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، فتشردوا في أنحاء العالم.

وفي ذلك رد على ما يروجه اليهود ويخدعون به الناس، بأن الله تعالى قد أعطى أجدادهم وعدا أن يمنحهم أرض كنعان (فلسطين) كما يقول بيجن: أن هذه الأرض أعطيت لنا وعدا، ولنا عليها حق (للتوسع ر: فلسطين أرض الرسالات الإلهية ـ رجاء جاروري ص ٢٤١ - ٢٥٧، اليهودية. د. أحمد شلبي ص ٩٠ - ٩٢).

(٤) سفر الخروج الإصحاحات (٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩، ٣٠).

وقالت التوراة في السِّفر الرابع منها لموسى : (اصنع قرنين من فضة تستعين بهما على الدعوة للرحلة، فإذا نفخ فيهما اجتمع [بنو][1] إسرائيل عند قبة الزمان [وبنو] [2] هارون هم الذين يهللون بالقرون ولتكن هذه سنة لكم إلى الدهر)، [3] وليس ذلك للتأبيد بل لدهر مخصوص، فثبت بذلك أن الذي وعد به إبراهيم من تمليك ولده الأرض مخصوص به ولد يعقوب في ذلك الدهر الذي انقضى ومضى ثم قد زالت من أيديهم وزال ملكهم عنها، وإذ قد ثبت بهذه النصوص أن لفظ (الدهر) لا يقتضى التأبيد في سكنى روح الله في البشر ولا في ملك الأرض ولا في لباس هارون الثياب وضربه بالقرون للرحيل بل لدهر مخصوص في علم الله، فكذلك لفظ الدهر في تحريم السبت، وهذا هو أقوى ما تمسك به اليهود في تأبيد تحريم السبت ولا جواب لهم عما ألزمناهم من نصوص توراتهم.

وأما احتجاجهم بمسخ من مسخ من أسلافهم قردة وخنازير، فذلك لتعديهم في السبت قبل نسخه إذ كانوا مكلفين في ترك الأعمال فيه / فلما دلسوا ٢/٥١/ب على الله وخالفوا أمره وارتكبوا نهيه مع بقاء حرمته عاقبهم بالمسخ[4]، فلما

(١، ٢) في ص، م (بنوا) والصواب ما أثبته.

(٣) سفر العدد ١٠/ ١ - ٨.

(٤) قال تعالى: ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرّعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون ☆ وإذ قالت أمة منهم لِمَ تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون ☆ فلما نسوا ما ذُكِّروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون☆ فلما عتوا عن مّا نهوا عنه قلنا لهم كونو قردة خاسئين﴾ سورة الأعراف ١٦٣ - ١٦٦.
وقال تعالى﴿قل هل أُنَبِّئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوتَ أولئك شرٌّ مكانا وأضل عن سواء السبيل﴾. سورة المائدة: ٦٠.

بعث الله نبيه المسيح بن مريم عليه السلام نسخ السبت وأباح الأعمال فيه[1] وغيَّر كثيرا من الأحكام وآمن طوائف من اليهود بالمسيح عليه السلام وتركوا السبت فلم يُنسبوا بعد إلى عدوان ولم يمسخوا.

---

(١) عن حذيفة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق» أخرجه مسلم ٢/ ٥٨٦، والبخاري عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ مرفوعا بلفظ «ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع: اليهود غدا، والنصارى بعد غد» (ر: فتح الباري ٢/ ٣٥٤).

قال ابن بطال: ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه، لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما يدل ـ والله أعلم ـ أنه فرض عليهم يوم من الجمعة وُكِّل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلفوا في أي الأيام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة. أ هـ ومال عياض إلى هذا ورجحه.

وقال النووي: يمكن أن يكونوا أمروا به صريحا، فاختلفوا هل يلزم تعيُّه أم يسوغ إبداله بيوم آخر؟ فاجتهدوا في ذلك فأخطأوا. أ هـ، ويشهد له ما رواه الطبري بإسناد صحيح عن مجاهد في قوله تعالى ﴿**إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه**﴾ قال: أرادوا الجمعة فأخطِئوا وأخذوا السبت مكانه، ويحتمل أن يراد بالاختلاف اختلاف اليهود والنصارى في ذلك. (ر: فتح ٢/ ٣٥٥، شرح النووي لصحيح مسلم ٦/ ١٤٣، ١٤٤).

وعلى هذا فإن المسيح عليه السلام لم يأمر أتباعه بتقديس يوم الأحد بدلا من السبت (ر: هداية الحيارى ص ٢٦٥)، لأنه كان متبعا شريعة موسى عليه السلام، وقد كانت رسالة عيسى عليه السلام كما قال عز وجل وحكاية عن عيسى ﴿**ومصدقا لما بين يديّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم..**﴾ سورة آل عمران: ٥٠. إنما ينسب إلى بولس استبدال السبت بالأحد عند النصارى فيما ورد من تعاليمه في رسالته الأولى إلى كورنثوس ١٦/ ١ - ٢، وهذا الاستبدال من الانحرافات التي أحدثها بولس في دين المسيح كما سبق بيانه (ر: ص ١٠٠).

ومما يدل على تحريف النصارى واستبدالهم السبت بالأحد هو ما ذكرته أناجيلهم من أن المسيح كان يعظم السبت وبأنه كان يذهب إلى المجامع للصلاة في السبت. (ر: لوقا ٤/ ١٦).

ويقول مؤلفو قاموس الكتاب المقدس ص ٤٥٤، ٤٥٥: إن المسيحيين الأولين قد قدسوا يوم السبت، ولكن يوم الأحد حلَّ تدريجيا محل يوم السبت، فقد جعلت قيامة ربنا (أي قيامة المسيح من الموت) قيمة خاصة ليوم الأحد، وفي قرار المجمع المسيحي الأول لم يفرض قادة الكنيسة الأولى ==

فقد ثبت جواز النسخ عقلا ودللنا على وقوعه شرعا وانقطعت معاذير اليهود[1]- والله ربنا المحمود - .

١٤ - فضيحة أخرى: زعم اليهود (أن روح الله قبل خلقه العالم كانت ترفرف على المياه)[2] انظر - عافاك الله - إلى سوء هذا التعبير وسماجته، كأنهم يعتقدون أن حياة الباري تزايله وتفارق ذاته، فإن قالوا: إنما عنينا أن المياه كانت مصونة بحفظه عن الضياع، قلنا لهم: فليس للمياه اختصاص بذلك فهلا قلتم: وصان الله المياه وحفظها كي لا تضيع، ولِمَ استعملتم هذا اللفظ الموهم الموجب للالتباس، القاضي بالفكر الرديء والوسواس.

==

حفظ يوم السبت اليهودي . . . ، وقد كانت هناك جماعة من المسيحيين يعتقدون بأن عليهم أن يحفظوا يوم السبت لا يوم الأحد، وقد كان بعض المسيحيين الأولين يحفظون كلا من السبت اليهودي ويوم الرب المسيحي (الأحد)، واستمر مدة أربعة قرون ثم انتهى أمره بعد أن منعه مجمع خلقدونية الكنسي في عام ٣٦٤ م، ويخبرنا تاريخ الكنيسة أنها حفظت يوم الأحد بناء على أوامر الرسل، حيث يقول جستينوس: نجتمع سوية يوم الأحد، لأنه اليوم الأول الذي فيه غيَّر الله الظلمة إلى نور، والعدم إلى وجود، وفي هذا اليوم قام مخلصنا يسوع المسيح من الأموات. وشهد اثناسيوس الاسكندري: أن الله قد غيَّر يوم السبت إلى يوم الأحد. أهـ بتصرف.

(١) ر: في إثبات النسخ وإلزام اليهود والنصارى بذلك: إفحام اليهود ص ٨٦ - ١٠٢ للسموأل المغربي، مقامع هامات الصلبان ص ٢٦٥ - ٢٦٧ لأبي عبيدة الخزرجي، التمهيد ص ٢٠٤ - ٢١٩ للباقلاني، الداعي إلى الإسلام ص ٣١٩ - ٣٤٠ للأنباري، إغاثة اللهفان ص ٦٤٦ - ٦٥٢ لابن القيم، إظهار الحق ص ٢٩٥ - ٣١٣ رحمة الله. وغيرها.

(٢) سفر التكوين ١/ ٢ .

وقد ورد في السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ١/ ١٨ تفسير النص كالآتي: وروح الله يرف على وجه المياه، أو ريح الله، وأكثر مفسري اليهود يفسرون الروح هنا بريح عظيمة من الله واعتاد العبرانيون أن ينسبوا إلى الله ما يريدون تعظيمه . ، . وعلى هذا ذهب جماعة من علماء التفسير إلى أن المقصود (بالروح) هنا ريح عظيمة بدد الله بها ظلمات الغمر والخلو. أهـ.

==

١٥ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الله تعالى حين أكمل خلقة العالم
قال: / (تعالوا حتى نخلق بشرا شبهنا ومثالنا فخلق آدم)(١)، فلذلك ١/٥٢/٢أ
اعتقد كثير من اليهود التجسيم فقال: أن الله في صورة آدمي وأنه شيخ
أبيض الرأس واللحية وأنه جالس على كرسي والملائكة قيام بين يديه
والكتب تقرأ بحضرته(٢) - والويل لليهود - من أين لله [شبه ومثال](٣)؟!
﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾(٤).

==

ويقول الفيلسوف اليهودي سبينوزا في (رسالة اللاهوت والسياسة ص ١٣٥ -١٣٨): تدل كلمة (رواه) في معناه الأصلي على الريح كما هو معروف، ولكنها تستعمل أيضاً في كثير من الأحيان بمعان أخرى مشتقة من المعنى الجاول، فتعني مثلا: ١- نسمة. ٢- نفخ أو تنفس. ٣- الشجاعة أو القوة. ٤- الصفة أو القدرة. ٥- الرأي أو الفكرة إلى غير ذلك. - ثم يقول: وهكذا يسهل علينا تفسير كل نصوص الكتاب التي يرد فيها ذكر روح الله فعبارة (روح الله) أو روح (يهوه) لا تعني في بعض النصوص إلا ريحا قوية جافة عاتية كما في سفر التكوين ١/ ٢. اهـ.

(١) تكوين ١/ ٢٦.

(٢) ورد ذلك التجسيم في سفر دانيال ٧/ ٩ ١٠ كالآتي (كنت أرى أنه وضعت عروش وجلس القديم الأيام، لباسه أبيض كالثلج وشعر أرسه كالصوف النقي، وعرشه لهيب نار وبكراته نار متقدة. نهر نارٍ جرى وخرج من قدامه، ألوف ألوف تخدمه وربوات ربوات وقوف قدامه فجلس الدين وفتحت الأسفار). كما ورد في التلمود أن الله - تعالى عما يقولون علوا كبيرا - يطالع الشريعة (التوراة) في الساعات الثلاث الأولى من النهار، وبأنه لا شغل لله في الليل غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين. (ر: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٥٥).

فهذا التصور المنحرف لليهود للذات الإلهية العلية ناشئ من تأثرهم بالوثنية التي كانوا تحت سلطتها في السبي البابلي، وللمادية التي طغت على نفوسهم وتحكّمت في تصوراتهم.

(٣) في ص، م (شبها ومثالا) والصواب ما أثبته.

(٤) سورة الشورى: ١١.

١٦ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الباري لما خلق الخلق في ستة أيام استراح في اليوم السابع[١]، واعتقدوا بغلط[٢] أفهامهم أن الباري يعتوره التعب والنصب، وربما نُقل عن بعض اليهود أن الباري في اليوم السابع استلقى على ظهره واضعا إحدى رجليه على الأخرى، وهذه الزيادة لم أقف عليها في نسخ التوراة غير أنها قد نقلت عن بعضهم[٣]، ولست أبعد من عقولهم اعتقادها، والبوح بها.

١٧ - فضيحة أخرى: زعم اليهود (أن الله تعالى قال لآدم وحواء: إنكما في اليوم الذي تأكلان فيه من الشجرة التي نهيتكما عنها [تموتان][٤] موتا)[٥]، وذلك من الكذب الفاحش على الله فإن التوراة تشهد أنهما / ٢/٥٢/ب عاشا بعد الأكل دهرا حتى رزقا الأولاد ورأيا فيهم البر والفاجر[٦].

واليهود تزعم أن الجنة لا أكل فيها ولا شراب[٧]، وهذا الموضع يكذبهم، وقد قررت ذلك في مسئلة مفردة أثبت فيها اشتمال الجنة على أصناف من الملاذ من الأكل والشراب والنكاح[٨].

---

(١) ورد ذلك في سفر التكوين ٢/ ١ - ٣ وقد ردّ الله عز وجل على زعمهم الكاذب بقوله تعالى ﴿**ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب**﴾ سورة ق / ٣٨. قال قتادة: قالت اليهود ــ عليهم لعائن الله ــ خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه. (ر: تفسير ابن كثير ٤/ ٢٤٥).

(٢) في م: بلغط.

(٣) نقل الشهرستاني ذلك عنهم فقال: اجتمعت اليهود عن آخرهم على أن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض استوى على عرشه مستلقيا على قفاه، واضعا إحدى رجليه على الأخرى. (ر: الملل والنحل ١/ ٢١٩).

(٤) في ص، م (تموتا) والصواب ما أثبته.

(٥) تكوين ٢/ ١٧. (٦) تكوين ٤/ ١، ٢، ٢٥.

(٧) في م: ولا شرب. (٨) ر: ص ١١٢، ١١٣.

١٨ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن نمرود[١] لما بنى الصرح وشيَّده نزل الباري إلى الأرض حتى هدمه وحال بين نمرود[٢] وبين ما أراد من ذلك، واليهود كثيرا ما يطلقون في توراتهم نزول الباري فكأنما يعجزون الله تعالى عن القدرة على ما أراد حتى يصفونه بالحركة والانتقال والتفريغ والاشتغال وذلك كله من صفات المحدثين ويتعالى عن ذلك رب العالمين.

أين هذا من ألفاظ الكتاب العزيز حيث يقول ﴿**فأتى الله بنيانهم من القواعد**﴾[٣] وقوله تعالى ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض**﴾[٤].

١٩ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن إبراهيم حين مرت به الملائكة لهلاك سدوم وعامورا مدائن لوط عليه السلام أضافهم وأطعمهم / خبزا ولحما ٢/٥٣/١ وسقاهم سمنا ولبنا ولما باتوا عند لوط عشاهم فطيرا[٥]، وذلك جهل عظيم إذ اعتقدوا أن الملائكة شأنهم شأن الآدميين يتناولون ما يتناوله الآدميون من الأغذية وتلك أجسام روحانية إنما غذاؤها وقوت أرواحها جنس آخر روحاني لا يعرفه اليهود.

---

(١) نمرود: ابن كوش بن حام، صياد جبار وملك قدير، وربما كان هو نفسه جلجاميش الأكادي أو البابلي. (ر: قاموس ص ٩٧٨).

(٢) تكوين ١١/١-٩.

(٣) قال تعالى: ﴿**قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**﴾ سورة النحل: ٢٦.

(٤) قال تعالى: ﴿**فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين**﴾ سورة القصص: ٨١.

(٥) تكوين ١٨/١-٨.

وقد قال أهل الكتاب: إن المؤمنين في الجنان لا يأكلون ولا يشربون بل يكون حالهم عند الله كحال الملائكة، فكيف ناقضوا هاهنا فزعموا أن الملائكة أكلت الطعام وشربت الشراب، وبهذا التحريف وشبهه تعلم أن أهل الكتاب ليس بأيديهم من كتب أنبيائهم إلا الرسوم[1]، وقد قال الكتاب العزيز: ﴿**فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف**﴾[2] وذلك كناية عن عدم الأكل ويشبه أن يكون الملائكة وضعوا أيديهم على الطعام وتقدموا به إلى الفقراء وأبناء السبيل.

٢٠ - فضيحةأخرى: زعم اليهود ـ أبعدهم الله ـ أن نبي الله لوطا لما[3] تقدم / الله إليه بالخروج من تلك القرية الظالمة لم يسارع إلى الخروج ٢/٥٣/ب
وتباطأ في الامتثال، حتى جعل الملائكة يدفعون في ظهره دفعا عنيفا حتى أخرجوه كرها[4]، والأنبياء محاشون عن عوارض الشكوك فيما يأمر به الله سبحانه - أعوذ بالله من القدح في عصم الأنبياء والتشبه بأمثال اليهود الأغبياء.

٢١ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن نبي الله إبراهيم حين حضرته الوفاة وأشرف على القدوم على الله تعالى، ورَّث ماله كله إسحاق ولده وحرم

---

(١) مفرده: الرَّسم: وهو الأثر أو بقيته، أو ما لا خص له من الآثار (ر: القاموس ص ١٤٣٨).

(٢) سورة هود: ٧٠.

(٣) ليست في م.

(٤) تكوين ١٩/ ١٥ - ٢٢ ونصه (ولما طلع الفجر كان الملكان يعجلان لوطا قائلين: قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين لئلا تهلك بإثم المدينة. ولما توانى أمسك الرجلان بيده وبيد امرأته وبيد

باقي أولاده[1]، فنسبوه ـ وهو خليل الله ـ إلى جهل وحيف يتنزه عنه جهال الصبيان وقد قال خاتم النّبيين (إنّا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة)[2].

ابنتيه لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة).

(١) سفر التكوين ٢٥/ ٥، ٨ ونصه (وأعطى إبراهيم إسحاق كل ما كان له، وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم فأعطاهم إبراهيم عطايا وصرفهم عن إسحاق ابنه إلى أرض المشرق وهو بعد حي، وهذه أيام سني حياة إبراهيم التي عاشها مئة وخمس وسبعون سنة، وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا..).

إن مانسبه اليهود إلى إبراهيم عليه السلام من محاباة ابنه إسحاق وتفضيله على سائر إخوته في توزيع ممتلكاته ـ ليتسنى لليهود الادعاء بأنهم الصفوة المختارة من البشر والموعودون بالبركة، ن الله ـ يخالف قانون الوراثة المذكورة في سفر التثنية ٢١/ ١٥ - ١٧ ونصه (إذا كان لرجل امرأتان إحداهما محبوبة والأخرى مكروهة فولدتا له بنين المحبوبة والمكروهة، فإن كان الابن البكر للمكروهة فيوم يُقسِّم لبنيه ما كان له، لا يحل له أن يقدِّم ابن المحبوبة بكرا على ابن المكروهة البكر، بل يعرف ابن المكروهة بكراً ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده، لأنه هو أول قدرته، له حق البكورية) بناء عليه فإن حق إسماعيل عليه السلام في الميراث حق شرعي وعادل باعتباره الابن البكر الشرعي لابراهيم، إذ إن إسماعيل يكبر إسحاق بأربع عشرة سنة، فمن المعلوم من التوراة أن هاجر ولدت إسماعيل وعمر إبراهيم ٨٦ سنة (تكوين ١٦/ ١٦) ولكن عندما ولدت سارة إسحاق كان عمر إبراهيم ١٠٠ سنة (تكوين ٢١/ ٥) وهذا يدل على أن إسماعيل الابن البكر لإبراهيم.

فإن كان هناك إرث لإبراهيم عليه السلام ـ كما يزعم اليهود ـ فلإسماعيل الحق في الضعف مما يأخذه أولاد إبراهيم ومن بينهم إسحاق عليه السلام، وإلا فإن حقيقة الأمر كما أخبرنا به الصادق الأمين ﷺ: «بأن معاشر الأنبياء لا يورثون وأن ما تركوه فهو صدقة».

فإن الميراث الحقيقي للأنبياء هو علم الشريعة والوحي الإلهي فقد ورد في الحديث «إن العلماء ورثة الأنبياء، ورّثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر» أخرجه أبو داود ٤/ ٥٧، وابن ماجه (صحيح ابن ماجه للألباني ١/ ٤٣)، والترمذي ٥/ ٤٧، ٤٨، وأحمد ٥/ ١٩٦، من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه. وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٤٦٣، والبخاري في كتاب الفرائض باب (٢) (ر: فتح ١٢/ ٥ -٧)، ومسلم ٣/ ١٣٧٩ - ١٣٨٣، والترمذي في سننه ٤/ ١٥٧، ١٥٨، وفي الشمائل ص ٣١٤، وأبو داود ٣/ ١٤٢ عن أبي هريرة رضي الله عنه. بلفظ (لا نورث ما تركناه صدقة).

٢٢ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن نبي الله يعقوب احتال على أبيه وقد كذب عليه قولا وفعلا وأوهمه أنه العيص[١] ولده إذ كان إسحاق يحب العيص أكثر من يعقوب، وأنه لبس حلة أخيه العيص وجعل على ذراعيه وعنقه جلد ماعز حتى ذهب بدعوة [إسحاق][٢] التي ادخرها[٣] للعيص فتمّت حيلته على أبيه ونجحت مكيدته وأن / إسحاق لما عرف ٢/٥٤/أ حقيقة الحال تعجب من ذلك وقال: ليت شعري من هذا الذي ذهب بدعوتي)[٤].

والأنبياء وأولادهم منزّهون عن الكذب[٥] والتدليس وسائر الكبائر وعن كل ما يجر إليهم جرحا أو يقتضي قدحا، والعجب أن اليهود يظنّون أن هذه حيلة على إسحاق وهي في الحقيقة على الله عز وجل.

---

(١) ورد في التوراة أن اسمه (عيسو) ومعناه(شَعَر)، وهو توأم يعقوب وبكر أبناء إسحاق لأنه خرج أولا، وتزعم التوراة المحرفة أن يعقوب قد اشترى البكورية من عيسو بصحن عدس، وبأنه سكن جبل سعير وذريته من بعده. (سفر التكوين الإصحاحات (٢٥ - ٣٥)، قاموس ص ٦٤٩).

(٢) إضافة يقتضيها السياق، ولعلها سقطت من الناسخ، والله أعلم.

(٣) في م: ادخروا.

(٤) تكوين ٢٧/ ١ - ٣٣ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا.

(٥) اتفقت الأمة الإسلامية على أن الأنبياء معصومون في التبليغ عن الله عز وجل وعن ارتكاب الكبائر من الذنوب، أما غير الأنبياء فإنهم ليسوا معصومين ولو كانوا أبناء الأنبياء أو أولياء الله، فهذا ابن نوح عليه السلام يعصي ربه وأباه، قال تعالى: ﴿**ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين. قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء. قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين..**﴾. سورة هود: ٤٢ - ٤٧، وهؤلاء أبناء يعقوب عليه السلام وأخوة يوسف عليه السلام قد حاولوا قتل يوسف حسدا من أنفسهم ثم كذبوا على أبيهم يعقوب عليه السلام واحتالوا عليه وقصتهم مبسوطة في سورة يوسف.

٢٣ - فضيحة أخرى[١]: زعم اليهود أن الذبيح هو إسحاق وليس هو إسماعيل[٢]، فأكذبهم التواتر وسخر منهم البادي والحاضر، وذلك أن التواتر يشهد بأن الذبح والنحر إنما هو بمنى وهي موطن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ولم تزل قرون الكبش - كبش إسماعيل - معلقة في جوف الكعبة إلى أيام ابن الزبير[٣] فاحترقت في فتنة الحجاج[٤] بن يوسف[٥].

---

(١) نقل المؤلف هذه الفضيحة من كتاب مقامع هامات الصلبان (ر: ص ٢٤٧) لأبي عبيدة الخزرجي.

(٢) سفر التكوين الإصحاح (٢٢).

(٣) هو الصحابي المعروف عبد الله بن الزبير بن العوام رضي الله عنه، توفي سنة ٧٤ هـ، وله ثلاثة وثلاثين حديثا.

(٤) هو الحجاج ين يوسف الثقفي، كان ظلوما، سفاكا للدماء، ذا شجاعة ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة، رمى الكعبة بالمنجنيق، مات بواسط سنة ٩٥ هـ.

قال الإمام الذهبي في ترجمة الحجاج: فنسُبُّه ولا نحبه، بل نبغضه في الله فإن ذلك من أوثق عرى الإيمان، وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه، وأمره إلى الله، وله توحيد في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء. أ هـ. (ر: ترجمته في سير أعلام النبلاء٤/ ٣٤٣، تهذيب التهذيب ٢/ ٢١٠، الأعلام ٢/ ١٦٨).

(٥) قال الإمام أحمد في مسنده ٥/ ٣٨٠: ثنا سفيان ثنا منصور عن حالد مسافح عن صفية بنت شيبة قالت: أخبرتني امرأة من بني سليم ولِّدت عامة أهل دارنا قالت: أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة - وقالت مرة - أنها سألت عثمان: لِمَ دعاك النبي ﷺ؟ قال: إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما، فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي، قال سفيان: لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا. أ هـ.

قلت: إسناده صحيح، فإن صفية بنت شيبة صحابية رضي الله عنها. (ر: التقريب ٢/ ٦٠٣).

قال الإمام ابن كثير: وكذا روي عن ان عباس أن رأس الكبش لم يزل معلقا عند ميزاب الكعبة قد يبس وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل، لأنه كان هو المقيم بمكة، إسحاق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره. (ر: قصص الأنبياء ص ١٤٣).

والدليل على أن الذبيح إسماعيل وأن القصة كانت قبل أن يولد إسحاق قول التوراة: (إن إبراهيم لما أهوى بالسكين إلى نحر ولده ناداه الملك: إبراهيم إبراهيم قد علمت أنك تخشى الله حيث لم تمنعه ابنك وحيدك)[1] وهذا من أدل الدليل على أنه إسماعيل.

فإن قالوا: فقد / نصت التوراة على أنه إسحاق، قلنا: ذلك من تحريفكم ٢/٥٤/ب والدليل على كذبكم قوله (ابنك وحيدك) فلو قلنا: أنه إسحاق لكان قوله (وحيدك) باطلا، وكيف يكون إسحاق واحده وابنه إسماعيل أكبر منه[2]؟! فليس واحده سوى إسماعيل. وقد نقلنا التواتر ومن خالف المتواتر فهو مخصوم به.

٢٤ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الله تعالى لما رأى معاصي بني آدم قد كثرت على الأرض، قال: لقد ندمت إذ خلقت آدم، فأرسل ماء الطوفان وأباد ما على الأرض من الحيوان[3] وزعموا أنه لما فعل ذلك ندم أيضا وقال: لا أعود أفعل ذلك.

وذلك مذكور في سفر الخليقة[4] من توراتهم، فقبح الله هذه الأحلام التي تترفع[5] عن أمثالها الأنعام، وهل خفي عن علام الغيوب ما سيقترفه العباد ويجري في مستقبل الزمان من الصلاح أو الفساد؟. وإنما يتصور الندم والأسف

---

(١) تكوين ٢٢/ ١٠ - ١٢.

(٢) لقد ظل إسماعيل الابن البكر الوحيد لإبراهيم عليهما السلام مدة أربع عشرة سنة إلى أن ولد إسحاق عليه السلام، والدليل على ذلك ما ورد في سفر التكوين ١٦/ ١٦ (كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل لأبرام). وفي نفس السفر ٢١/ ٥ (وكان إبراهيم ابن مئة سنة حين ولد له إسحاق ابنه). إذن فالوحيد لدى إبراهيم هو إسماعيل - وهو الذبيح - وهو يكبر إسحاق عليهم السلام بأربع عشرة سنة.

(٣) في م: الحياة.

(٤) سفر التكوين ٦/ ٥ - ١٣، ٧/ ٦، ٨/ ٢١.

(٥) في م: يرتفع.

من الجاهل بعواقب الأمور، والباري تعالى عالم بالخفيات محيط بجزئيات ما فات وما هو آت.

٢٥ - فضيحة أخرى: / زعم اليهود أن الذي وسوس لآدم وحواء حتى أكلا من الشجرة ليس هو إبليس وإنما هي الحية[١]، قالوا: وكانت أحكم الدواب. ٢/٥٥/أ

فأما إبليس فلا يعتقدون بوجوده وليس له في توراتهم ذكر ألبتة[٢]، والله تعالى يقول: ﴿فوسوس لهما الشيطان﴾[٣].

---

(١) ورد ذلك في سفر التكوين ٣/ ١ - ٧.

(٢) لم يرد في التوراة المحرفة ذكر إبليس اللعين، ولكن ورد ذكر الشيطان في بعض أسفار العهد القديم كسفر أخبار الأيام الأول ٢١/ ١ وسفر أيوب ١/ ٦ ومزمور ١٠٩/ ٦.

أما قول المؤلف بأن اليهود لا يعتقدون وجود إبليس، فإنه يحمل على اعتقاد فرقة الصدوقيين من اليهود التي تنكر وجود الملائكة والشياطين، وتنكر التلمود أيضا. أما جمهور اليهود من الربّانيين ونحوهم، فإنهم يثبتون وجود الشيطان، حيث إنه مذكور في نصوص كثيرة من كتاب التلمود الذي يقدسونه، ومن تلك النصوص:

- أن الله خلق الشياطين في غسق يوم الجمعة، ولم يخلق لهم أجساداً أو ملابس لأن يوم السبت كان قريبا، فما كان لديه الوقت لعمل كل ذلك؟!! وفي رواية أخرى أن الله لم يخلق لهم أجسادا عقابا لهم لأنهم كانوا يريدون أن يخلق الإنسان بدون جسد !!!

وبأن الشياطين على أنواع: فبعضهم مخلوق من مركب مائي وناري، وبعضهم من الهواء، وبعضهم من الطين، أما أرواحهم فمخلوقة من مادة موجودة تحت القمر، وبعض الشياطين من نسل آدم... (ر: الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٦٠ - ٦٣ د. روهلنج، هجية التعاليم الصهيونية ص ٣٦ - ٤٣ بولس حنا مسعد، اليهودية ص ١٤٤ د. محمد بحر عبد المجيد).

(٣) سورة الأعراف: ٢٠.

والنصارى وهم أفخاذ منهم يخالفونهم في ذلك ويثبتونه ويعتقدون وجوده، وذكره في الأناجيل كثير[1].

٢٦ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن نوحا عليه السلام نام في خيمته فكشف الريح عورته فضحك منه ابنه حام فدعا عليه وعلى عقبه[2]، وذلك من ترهات العوام وخرافات العجائز، فجعله اليهود قرآنا يتلى في المحاريب.

---

(١) ورد ذكر الشيطان في الأناجيل وبقية الأسفار العهد الجديد مرات كثيرة منها: متى ٤/ ١٠، ٩/ ٣٣، ١١/ ١٨ - مرقس ١/ ١٣، ٣/ ٢٦ - لوقا ٤/ ٣٣، ٨/ ٢٩ - يوحنا ٦/ ٧٠، ٧/ ٢٠ - أعمال الرسل ٥/ ٣- رسالة إلى رومية ١٦/ ٢٠ وغير ذلك. ويعتقد النصارى أن الشيطان كائن حقيقي، وهو أعلى شأنا من الإنسان ورئيس رتبة من الأرواح النجسة، وبأن نهايته أن يعذب أبد الآبدين (ر: قاموس ص ٥٣٣ - ٥٣٥).

(٢) ورد النص في سفر التكوين ٩/ ٢٠ - ٢٧ كالآتي (وابتدأ نوح يكون فلاحا وغرس كرما وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل له ابنه الصغير فقال: ملعون كنعان عبد العبيد يكون لإخوته، وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبدا لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم).

إن هذه القصة من افتراءات بني إسرائيل على أنبياء الله تعالى واتهامهم بارتكاب الكبائر، وتفضح عنصرية اليهود البغيضة حيث قصدوا بهذه القصة اللعنة إلى الكنعانيين سكان فلسطين قبل اليهود، ونسبوا أنفسهم إلى سام وادعوا اختصاصهم بذلك ليتسنى لهم ادعاء حق السيطرة على الكنعانيين وأرضهم فلسطين.

- ولنا على هذه القصة المكذوبة عدة ملاحظات تفضح افتراءها، منها:

- كيف يلام حام وهو لم يفعل شيئا يستحق اللوم عليه إضافة إلى أنه كان طفلا صغيرا..؟.

- وكيف يلعن نوح كنعان بن حام - الذي سيولد بعد ٢٠ سنة -؟. فما ذنب كنعان؟؟.. وكيف يتحمل ذنب أبيه - إن كان لأبيه ذنب -؟.

٢٧- فضيحة أخرى: زعم اليهود- أخزاهم الله - أن نبي الله لوط لما نجاه الله من عذاب سدوم، سكن كهف جبل ومعه ابنتاه اللتان سلمتا من أهله، فلما استقر بهم الحال قالت إحداهما للأخرى: هلمي نسقي أبانا الخمر حتى إذا سكر ضاجعناه وأقمنا من أبينا نسلا، وأنهما فعلتا ذلك فوطئهما لوط فحملتا منه بولدين / وهما مؤاب وعمون(١). ٢/٥٥/ب

أبعد الله اليهود، كيف يحسن أن يبتلي الله من اصطفاه وارتضاه لرسالته بهذه الكبيرة؟. وكيف يحميه بالأمس ويهتك ستره اليوم؟. فأيّ فائدة في نشر هذه الفاحشة وتخليدها الكتب ليقرع بها الأنبياء قرنا بعد قرن وحقبا بعد حقب؟(٢). الله أكرم من ذلك.

---

(١) ورد ذلك في سفر التكوين ١٩/ ٣٠ - ٣٨، (ومؤاب) فإليه ينسب المؤابيون أو بنو مؤاب وسكنوا في القسم الشرقي من البحر الميت. وأما (عمون) فينسب إليه بنوعمون الذين سكنوا في الشمال بجبال جلعاد بين نهري أرنون ويبوق، وقد كان المؤابيون وبنو عمون في صراع مستمر مع بني إسرائيل (ر: قاموس ص ٦٤٠، ٩٢٨).

(٢) علق المهتدي السموأل المغربي ــ الذي كان يهوديا فأسلم ــ على هذه الفضيحة بقوله: ومما يؤكد استحالة ذلك، أنهم زعموا: أن ابنته فعلت كذلك به في الليلة الثانية فعلقت أيضا، وهذا ممتنع مع المشائخ الكبار أن يعلق من أحدهم في ليلة ويعلق منه أيضا في الليلة الثانية، إلا أن العداوة التي ما زالت بين (بني عمون ومؤاب) وبين بني إسرائيل؛ بعثت واضع هذا النص على تلفيق هذاالمحال ليكون أعظم الأخبار فحشا في حق بني عمون وبني مؤاب... وأيضا فإن عندهم أن موسى جعل الإمامة في الهارونيين فلما ولى طالوت وثقلت وطأته على الهارونيين وقتل منهم مقتلة عظيمة ثم انتقل الأمر إلى داود، بقي في نفوس الهارونيين ، التشوق إلى الأمر الذي زال عنهم، وكان عزرا هذا خادما لملك الفرس حظيا لديه، فتوصل إلى بناء بيت القدس وعمل لهم هذه التوراة التي بأيديهم، فلما كان هارونيا كره أن يتولى عليهم في الدولة الثانية داودياً، فأضاف في التوراة فصلين طاعنين في نسب داود. أحدهما: قصة بنات لوط، والآخر: قصة ثامار، ولقد بلغ ـ لعمري ـ غرضه، فإن الدولة الثانية التي كانت لهم في بيت المقدس لم يملك عليهم فيها داوديون بل كانت ملوكهم هارونيين) أ هـ، (ر: إفحام اليهود ص ١٥١، ١٥٢، ونقله القرافي في الأجوبة الفاخرة ص ٨١).

٢٨ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن رؤبيل[١] بكر يعقوب من ولده، زنى بسرية أبيه يعقوب وافترشها[٢]، وأن أباه يعقوب لما حضر أجله ودنت وفاته قرّع رؤبيل ابنه بذلك وعَيَّره بين إخوته وقال له: يا رؤبيل حقا لقد نجست فراشي وامتهنته فلذلك لست أعطيك السهم الزائد[٣]، قالوا: وكان من سنة إبراهيم أن يرث الولد البكر سهمين من الميراث وغيره يرث سهما واحدا[٤].

فأي فائدة وأي حكمة في نقل هذه الفاحشة يُعيّر بها سبط عظيم من الأسباط؟ ومآثر الآباء مفاخر الأبناء، وهاهنا حَرْفٌ يتبيّن به كذب اليهود في توريث إبراهيم إسحاق/ ماله كله وحرمان إسماعيل[٥]، وهو أن سُنَّة إبراهيم توريث البكر من الأولاد سهمين، فكيف حرموه الميراث؟ هل ذلك من اليهود إلا غفلة وجهالة بما في أيديهم من كتب الله.

٢٩ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن يهوذا[٦] بن يعقوب زنى بكِنتِّه ثامار[٧] ورهنها على ذلك خاتمه وعصاه، وأنها حملت منه واشتهرت قصته وقصتها في بني إسرائيل وصارا بذلك شهرة[٨]، هذا مع حظوته عند أبيه

(١) في النص (رأوبين): اسم عبري معناه (هوذا ابن) وهو بكر يعقوب ولدته ليئة، وإليه ينسب أحد أسباط إسرائيل الاثني عشر وهو سبط رأوبين (ر: قاموس ص ٣٩٣).
(٢) تكوين ٣٥/ ٢١، ٢٢.
(٣) تكوين ٤٩/ ٣ - ٥.
(٤) تثنية ٢١/ ١٧.
(٥) تقدم التعليق على ذلك (ر: ص ٣٩٩).
(٦) يهوذا: اسم عبري معناه (حمد) وهو رابع أبناء يعقوب عليه السلام من ليئة، وأعطي هذا الاسم بسبب أم أمه شكرت الله عند ولادته، ولا يذكر العهد القديم شيئا كثيرا عنه. (قاموس ص ١٠٨٥)
(٧) ثامار: اسم عبري معناه (نخلة) وهي زوجة (عير) بكر يهوذا، ولما توفي عير أعطيت زوجته لأخيه (أونان) الذي مات أيضا عاجلا لشره. (ر: قاموس ص ٢٣٣).
(٨) تكوين الإصحاح (٣٨).

ودعائه له بتخليد الملك والنبوة في عقبه حتى يأتي محمد رسول الله ﷺ[1]، فأي فخر في ذلك وأي فضل يودعوه التوراة ويعظموه تعظيم الوحي والتنزيل جيلا بعد جيل؟!.

٣٠ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن دينا[2] بنة يعقوب خرجت وهي عذراء فرآها مشرك من عبدة الأوثان وهو سحيم بن خمون[3] رئيس القرية فوقع عليها وافترعها وأزال بكارتها وأنزل العار بأبيها نبي الله يعقوب، وأن حمور أباه جاء إلى بني يعقوب وتنصل وآمن والتزم أحكامهم هو وجميع أهل القرية، وأن بني يعقوب قالوا لأهل القرية: إن أحببتم/ الاستنان ٢/٥٦/ب بسنتنا والدخول في ديننا فاختتنوا لنصير شعبا واحدا، ومكروا بهم واحتالوا عليهم. فلما اختتن كل من في القرية دخلوا عليهم فوجاً وهم بالسلاح وهم لا يستطيعون الدفع عن أنفسهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم وانتهبوا أموالهم وحريمهم، وأن يعقوب لما انتهت إليه القصة قال لبنيه: أنا رجل قليل العدد، الساعة يميل علي أهل هذه القرى والشعوب فيبيدوا [حضرائي][4] وأنه اتخذ الليل جملا فأصبح ولا أثر له بتلك البلاد[5]. فحكموا على أولاد نبي الله يعقوب بأنهم قتلوا المؤمنين وأبادوا

---

(١) ونصه كما في سفر التكوين ٤٩/ ٨-١٠ (يهوذا إياك يحمد إخوتك، يدك على قفا أعدائك، يسجد لك بنو أبيك، يهوذا جرو أسد، من فريسة صعدت يا ابني، جثا وربض كأسد وكلبوة من ينهضه، ولا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب).

(٢) في م: لينا، وفي النسخ المتداولة من التوراة (دينه) وهو اسم عبري معناه (دينونة)، وهي الابنة الوحيدة ليعقوب عليه السلام من زوجته ليئة. (ر: قاموس ص٣٨٣).

(٣) ورد اسمه في التوراة (شكيم بن حمور الحوي) وكان أميراً لمدينة شكيم (نابلس).

(٤) وفي نص التوراة (فأبيد أنا وبيتي). (٥) تكوين الإصحاح (٣٤).

الموحدين وانتهبوا الأموال الحرام. ونحن نورك [1] على اليهود في نقل هذه الأحاديث عن الأنبياء وأولاد [2] الأنبياء.

٣١ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن يعقوب عند منصرفه من حران [3] طالبا بلاده تصارع مع الملك فغلبه يعقوب وتألم ورك يعقوب حين دنا منه الملك، وأن الملك بقي في يد يعقوب مقهورا حتى قال له: دعني وأباركك [4]، فلهذا لا يأكل اليهود عرق الفخذ [5]، وربما قال بعض جهال اليهود: إن الذي/ صارعه يعقوب هو الله ـ تعالى الله عن جهلهم ٢/ ٥٧/أ علوا كبيرا ـ وأستغفره من حكاية أقوالهم.

٣٢ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الله تعالى نزل إلى الجنة ومشى فيها حين كلم [6] آدم، وأنه تعالى نزل إلى الأرض حتى أنقذ بني إسرائيل من

---

(١) في م: نورد.

(٢) في م: وأبناء.

(٣) حران: مدينة بين النهرين على نهر بليخ وهوفرع للفرات، وتقع على مسافة ٢٨٠ ميلا إلى الشمال الشرقي من دمشق. (ر: قاموس ص ٢٨١).

(٤) تكوين ٢٢/ ٢٤ - ٣٢.

(٥) في م: العجل، وقد ورد في نفس السفر ٣٢/ ٣٢ ما يأتي (لذلك لا يأكل بنو اسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلى هذا اليوم لأنه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا).
وتصحيح هذا التحريف الواقع في توراتهم، بما أخرجه الحاكم ١/ ٢٩٢ وابن جرير في تفسيره ٤/ ٤، عن طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: أن اسرائيل أخذه عرق النساء، فكان يبيت وله زقاء، فجعل إن شفاه الله ألا يأكل لحما في عروق، قال: فحرمته اليهود، فنزلت الآية ﴿**كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة**. . .﴾ سورة آل عمران: ٩٣.
قال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وقال به ابن جريج والعوفي والضحاك والسدي (ر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٩٠). والله أعلم.

(٦) في م: كلمه، وقد ورد النص في تكوين ٣/ ٧ - ١٩.

سحرة فرعون[1]، وأنه نزل إلى الأرض عندما كلم موسى من شجرة العليق[2]، وأنه نزل عندما كلم إبراهيم وبشره بالولد[3]، وأنه نزل حتى بلبل ألسن نمرود وقومه ومعهم من بنمء الصرح[4].

وكل ذلك جهل منهم بأن الباري يتقدس عن الحركات والتنقل في الجهات، فظنوا أن سماع آدم ونوح وإبراهيم وموسى كلام الباري من الجنة وشجرة العليق يقتضي الحلول أو يوجب على الباري الصعود أو النزول[5].

٣٣ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن هارون ومريم أخته وقعا في موسى وتناولاه وجرى بينهم شر وتحاسد، وأن مريم عابت على موسى نكاحه امرأة سوداء، وأنهما قالا له: أتظن أن الله تعالى إنما كلمك وحدك كلمنا نحن أيضا، قال اليهود فنزل الله تعالى [إلى][6] قبة/ الزمان ودعا هارون ومريم وتوعدهما، وبرّص مريم فصارت برصاء من ساعتها[7]. ٢/ ٥٧/ ب

وكذب اليهود هذا مالا يبتلى به أمثال هؤلاء الأعلام، إذ الحسد مراغمة لمقدور[8] الله وهو كبيرة لا تجوز على الأنبياء، وهارون نبي ثابت العصمة،

(١) خروج ١٤/ ١٩ - ٢٤.
(٢) خروج ٣/ ٢ - ٤.
(٣) تكوين ١٨/ ١ - ٢٣.
(٤) تكوين ١١/ ١ - ٩.
(٥) تقدم بيان مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك ر: ص ٤٥٨.
(٦) إضافة يقتضيها السياق. والله أعلم.
(٧) ورد ذلك في سفر العدد ١٢/ ١ - ١٠.
(٨) في م: لقدور.

ومـريم لا خلاف بين أهـل الكتاب في نبـوتها[1]، فصدور الكبـائر منهم تخرم الثقة بهم والطمأنينة إليهم. فلعن الله اليهـود ما أكثر ما يتناولـون أنبياء الله قتلا وقذفا.

٣٤ - فضيحة أخـرى: زعم اليهود أن أسلافهم الـذين شاهـدوا الآيات مع موسى عندمـا خرجوا من البحر قال لهم موسى: ادخلـوا الأرض المقدسة التي وعـدكم الله بها على لسان أبيكم إبـراهيم. وأنهم أبوا عليـه وخالفـوا أمره[2]. قال الله عزوجل حكـاية عنهم ﴿**قالـوا ياموسى إنا لن نـدخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون**﴾[3] وقال بعضهم لبعض: هلم فلنول علينا ولاة ويؤمـر كل سبط رجلا عليه وندع موسى ونرجع إلى مصر فقد كـان الموت بين يدي فرعون [خيراً][4] لنا من الدخول إلى الأرض التي وعدنا بها[5].

١/٥٨/٢ وهـــــذا / مع ما شاهدوا من الآيات وعاينوا من العبر والمعجزات. فإن صـدقــوا في نقلهم فبئس السلف سلفهم. وإن كـذبــوا عليهم فبئس الخلف خلفهم.

---

(١) يقول الحاخام سيجال في كتـابه حول تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل ص ٧٩: نجـد أن مريم ـ أخت موسى ـ تتزعم جوقة النساء في أنشودة بمصاحبة الدفوف والرقص قد سميت نبية (خروج ١٥/ ٢٠، ٢١) لأنها في عملها هذا كـانت تقوم بما يقوم به الأنبيـاء، فهي إذن قد تنبأت، ومن هناك يتأكد لنا أن التغني بالأناشيد بمصاحبة آلات الموسيقى والرقص كان من عمل الأنبياء. أ مـ.

نقول: لعن الله اليهـود الذين يقذفون أنبياءهـم بالفحشاء والمنكر، ليكون ذلـك ذريعة لهم في ارتكاب الفحشاء والمنكر، وهذا من خبث نفوسهم ورداءة طبائعهم، فلا غرو أن كانوا من المغضوب عليهم في الدنيا والآخرة، وقد تقدم ذكر الراجح عند المسلمين بعدم صحة نبوة النساء.

(٢) سفر العدد إصحاح (١٣، ١٤).

(٣) سورة المائدة: ٢٤.

(٤) في ص، م (خير) والصواب ما أثبته.

(٥) سفر العدد، إصحاح (١٣، ١٤).

٣٥ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الله تعالى حين أراد قتل أبكار فرعون وجنوده قال لموسى: مُرْ بني إسرائيل أن يذبحوا حملا وينضحون من دمه على أبواب دورهم حتى إذا جزت الليلة في أرض مصر ورأيت الدم عرفت أبوابكم من أبواب المصريين كيلا أهلككم معهم(١). كأنهم يعتقدون أن الباري تعالى لا يرى إلا بإمارة ولا يعلم إلا بإشارة، ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾(٢).

٣٦ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن موسى عليه السلام لما جاء لميقات ربه واستخلف هارون على قومه وأمره بإصلاح أحوالهم ونهاه عن اتباع سبيل من أفسد منهم خالف موسى في ذلك واتخذ لهم عجلا وأمرهم بعبادته(٣).

وذلك مردود عليهم بما حكاه دانيال نبي الله في نبوته(٤) إذ قال: إن الذي صنع العجل لبني اسرائيل حتى عبدوه هو ميخا / السامري وكان آباؤه ٥٨/٢/ب يعبدون البقر فاستتابه موسى ونفاه إلى الشام(٥)، فالسامرة بالشام أكثر منهم بغيرها، وذلك موافق للكتاب العزيز حيث يقول ﴿. . **وأضلهم السامري**﴾(٦)

---

(١) خروج ١٢/ ١٢، ١٣ .

(٢) سورة الملك: ١٤ .

(٣) خروج ٣٢/ ١ - ٦ .

(٤) لم أجد في سفر دانيال النص الذي ذكره المؤلف.

(٥) أخرج ابن جرير في تفسيره ١/ ٢٨٢ عن ابن إسحاق عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: وكان السامري رجلا من أهل باجرما، وكان من قوم يعبدون البقر، وكان حب عبادة البقر في نفسه، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل. . . وكان اسم السامري موسى بن ظفر، وقع في أرض مصر فدخل في بني إسرائيل.

(٦) سورة طه: ٨٥ .

﴿**فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار**. . .﴾[1]. وإلا فكيف يحسن بهارون نبي الله وخليفة موسى صفيه، أن ينتدبه موسى للإصلاح[2] فيدعو إلى الكفر الصراح؟!.

٣٧ - فضيحة أخرى: عبدت اليهود الكواكب والأصنام وقربوا لها القرابين وعاقروا الزنى وموسى بين أظهرهم حي فبينما هم مجتمعون إذ هجم (زمري)[3] رجل من قبيلة شمعون على بغي من البغايا يقال لها كشتي[4] ابنة صور ففجر بها بحضرة الجمع، فضربهم الله بموت الفجأة فقتل منهم في يوم واحد أربعة وعشرين ألفا، كما شهد بذلك الإصحاح الثامن عشر من السفر الرابع من توراتهم[5].

٣٨ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن موسى عند خروجه ببني إسرائيل من مصر قال لهم: استعيروا حلي المصريين عارية، فلما فعلوا واستعاروا حلي المصريين القوم وثيابهم / أمرهم موسى أن يهربوا بها ٢/٥٩/١ ويغصبوها وقال: هذه أجرة سخرتكم، فلبسوها وذهبوا ليلا[6]. ومعلوم أنهم لا أجرة لهم على الأيتام والأرامل والمستضعفين من أهل مصر بل على فرعون وذويه الذين استوفوا منافعهم، وقد قال الله تعالى ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[7]، وقد هاجر رسول الله ﷺ من بين المشركين كما فعل موسى غير أنه ترك من أهل بيته من أدَّى

---

(١) سورة طه: ٨٨.

(٢) في م: (سد به موسى للاصاح).

(٣) ورد في النص أن اسمه: زمري بن سالور - رئيس بيت أب من الشمعونيين.

(٤) ورد في النص أن اسمها: كزبي بنت صور.

(٥) ورد ذلك في سفر العدد ٢٥/ ١ - ١٥.

(٦) خروج ١١/ ١ - ٣، ١٢/ ٣٥ - ٣٧.

(٧) سورة النساء: ٥٨.

الودائع إلى أربابها ولم يخلل بأمانته ﷺ(١).

٣٩ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الله تعالى أمرهم بالربا في التوراة وأباحه لهم فلذلك استحلوه، وقالوا: لم يحرم علينا إلا فيما بيننا فقط(٢)، وقد أخبر الكتاب العزيز عنهم بذلك فقال ﴿**ذلك بأنهم قالوا**

---

(١) قال ابن إسحاق: ولم يعلم - فيما بلغني - بخروج رسول الله ﷺ أحد حين خرج إلا علي بن أبي طالب، وأبو بكر الصديق وآل أبي بكر، أما علي فإن رسول الله ﷺ - فيما بلغني - أخبره وأمره أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ. أهـ. (ر: السيرة / ١٤٢ ٢)، ونقله البيهقي عن ابن إسحاق في الدلائل ٢/ ٤٦٤.

(٢) ورد ذلك في التوراة المحرفة سفر الخروج ٢٥ ٢٢/ كالآتي: (إن أقرضت فضة لشعبي الفقير الذي عندك فلا تكن له كالمرابي، لا تضعوا عليه ربا) وكذلك في سفر اللاويين ٢٥/ ٣٥ - ٣٧

وورد في سفر التثنية ٢٣/ ١٩، ٢٠ (لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء ما مما يقرض بربا، للأجنبي تقرض بربا ولكن لأخيك لا تقرض بربا لكي يباركك الرب إلهك..).

وبناء على هذه النصوص المحرفة فقد احترف اليهود الربا منذ العصور الأولى واعتبروه مهنة لهم ووضعوا لها النصوص المتعددة، فقد جاء في التلمود التأكيد على أنه غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بالربا (ر: الكنز المرصود ص ٨٧ - ٨٩) ولكن نظرا لما جبل عليه اليهود من حب المال، فإنهم تحايلوا - وتلك سجية فيهم - حتى على تحريم الربا فيما بينهم، فيقول د. حسن ظاظا، إنه جاء في المادة ٥٨٥ من المجموعة القانونية التي ترجمها دي بولي، تقييد تحريم الربا بما يعطيه اليهودي من قرض لأخيه اليهودي ليواجه به ضرورات ملحة لا قبل له باحتمالها (أما إذا اقترض اليهودي نقدا من يهودي آخر بقصد الاستثمار أو الوسع في التجارة أو تنفيذ بعض المشروعات التي تدر ربحا، فإن الذي يقرضه المال يمكنه أن يفرض عليه نصيبا في الأرباح يتفق عليه). (ر: الفكر الديني اليهودي، ص ١٩٦).

وقد بيّن الله افتراء اليهود وتحريفهم التوراة بقوله تعالى: ﴿**وأحل الله البيع وحرم الربا...**﴾ سورة البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦. ففي هذه الآية وما بعدها الرد على المشركين وغيرهم، لما قالوا: إنما البيع مثل الربا، وهذا يفيد بأن البيع كان حلالا قبل الإسلام، وبأن الربا كان حراما قبل الإسلام، وأكد الله تعالى تحريم الربا بخصوصه وأنه كان حراما على اليهود وهم يتعاطونه؛ بقوله تعالى: ﴿**وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما**﴾ سورة النساء: ١٦١.

ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾[1].

٤٠ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الله تعالى أمرهم أن يبنوا له قبة ينزلها إذا سافر معهم وأنه اقترح عليهم صفتها فبنوها له على النعت الذي طلبه[2]، قالوا: فكان موسى / إذا أراد الرحيل قال: انهض إلينا يارب ٢/٥٩/ب لنكبِّتَ شانئيك. قالوا: فكان الباري جل اسمه يظعن بظعنهم ويقيم بإقامتهم،[3] وزعموا أن الله تعالى أبى مرة أن يسير معهم وقال: اظعنوا أنتم؛ فإني لا أظعن أنا بل أنا أبعث معكم ملكا يغفر ذنوبكم[4].

وهذه الأقاويل تؤذن باستخفافهم بالله عز وجل.

٤١ - فضيحة أخرى: زعم اليهود أن الله تعالى قال لإبراهيم: إن بني إسرائيل تستعبد بأرض مصر أربعمائة سنة[5]، وقد تضمنت توراتهم ذلك، ولا خلاف عند متأخريهم ومتقدميهم أن بني اسرائيل لم تستعبد بمصر سوى مائتي سنة وخمس عشرة سنة، ذكر ذلك محرور بن قصطنطين المنبجي أسقف منبج، وذلك خلف عظيم[6].

---

(١) سورة آل عمران: ٧٥، روى ابن جرير في تفسيره ٣/٣١٨ عن قتادة رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ليس علينا في الأميين سبيل﴾ قال: ليس علينا في المشركين سبيل. يعنون: من ليس من أهل الكتاب. أهـ.
وقوله تعالى: ﴿ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ أي وقد اختلقوا هذه المقالة وائتفكوها بهذه الضلالة، فإن الله حرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها، وإنما هم قوم بهت. (ر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٨٢).

(٢) سفر الخروج الإصحاحات (٢٣، ٢٥، ٤٠).

(٣) ورد ذلك في سفر العدد ١٠/ ٣٣ - ٣٦.

(٤) ورد ذلك في سفر الخروج ٣٣/ ١ - ٥.

(٥) تكوين ١٥/ ١٣، ١٤، خروج ١٢/ ٤٠، ٤١.

(٦) سيأتي تفصيل هذا الخطأ التاريخي الواضح. (ر: ص٥٨٤، ٥٨٥).

٤٢ - إخبار الله تعالى بما يؤول أمر اليهود إليه من الكفر والعناد وسلوك سبل الضلال والفساد:

ذكرت التوراة في أواخر السفر الخامس منها (أن الله تعالى قال لموسى: أنت ميت ومنتقل إلى آبائك وأن هذا الشعب - يعني بني إسرائيل - سيضل ويتبع آلهة أخرى من آلهة الشعوب التي تُعبد من دوني / ويخالفني ويترك عهدي الذي ٢/٦٠/أ عهدت فيشتد غضبي عليهم، وأخذلهم وأديرُ وجهي عنهم وأجعلهم مأكلا لأعدائهم وأنزل بهم شرا شديدا وغما طويلا)[١].

قال المؤلف: قد أخبر الله تعالى عنهم بذلك؛ فجاء الأمر[٢] كما أخبر سبحانه فكفروا وضلوا وعبدوا الأوثان والأصنام وقربوا القرابين للزهرة ونجوم السماء ونحروا لها النحور فلما بعث الله إليهم أرميا النبي عليه السلام قام فيهم فوعظهم وخوفهم وحذرهم وأنذرهم وقال: يا بني إسرائيل لِمَ تعملون هذا الشر وتلتوون[٣] عن طاعة الله وتهلكون الرجال والنساء من آل إسرائيل ولا تبقوا لكم بقية عند الله تعالى، بخرتم للنجوم والأوثان في أرض مصر وغيرها حتى أراد أن يهلككم ربكم ويصيركم عاراً بين الشعوب. فلما فرغ أرميا [من][٤] موعظته أجابوه وقالوا: أما ما قلت لنا عن الرب فلا نقبله ولكنا نفعل ما أحببنا وحسن في أعيننا، وننحر ٢/٦٠/ب ونبخر[٥] لنجوم السماء ونقرب القرابين للزهرة كما كان يفعل آباؤنا / وأشرافنا في قرى يهودا وكنا بخير، ولم نعاين الشر والآن فمذ[٦] تركنا البخور للزهرة وأهملنا القرابين لها أعوزتنا الأشياء وجعنا، ثم تصايح الشعب كله على أرميا وقالوا:

---

(١) تثنية ٣١/١٦ - ١٨.

(٢) في م: الأرض.

(٣) في م: وتلثون.

(٤) إضافة يقتضيها السياق.

(٥) ليست في م.

(٦) في م: مذ.

نحن لاندع البخور لنجوم السماء والقرابين لها بل نفعل كما فعل آباؤنا .

فقال أرميا عليه السلام : اجتمعوا[1] يا معشر اليهود اسمعوا أقوال الرب إله إسرائيل ، قال الرب : قد أقسمت باسمي العظيم أنه لا يذكر اسمي في جميع أفواه اليهود الذين بأرض مصر لأني معجل لهم الشر ومهلكهم بالجوع والموت وسيعلمون أي القولين أصدق ، قولي أم قولهم)[2] .

وكذلك أخبر صفنيا بن كوش النبي عله السلام في نبوته (قال صفنيا : قال الرب لأزيلن إسرائيل عن وجه الأرض زوالا ، ولأبيدن طير السماء وسمك البحور ، ولأنزلن عذابي بالخطاة من بين إسرائيل ، ولأصيرن أيامهم عبرة ، ولأهلكنهم عن حديد الأرض ، ولأرفعن يدي على يهودا وسكان أورشليم ، ولأهلكن كل من عبد بعلا الصنم ، ولأعاقبن الذين يسجدون لنجوم السماء ، كما فعلت / بآبائهم الذين عبدوا الأصنام والنجوم والعجل)[3] . ١/٦١/٢

فالعجب من اليهود ينكرون أخبار الكتاب العزيز بعبادتهم عزيرا وهذه توراتهم ونبوات أنبيائهم تشهد عليهم بما هو أخبث من ذلك ، وقد أخبر إليا النبي في كتابه وهو يشكو بني إسرائيل إلى الله تعالى : (فقال : يارب إن بني إسرائيل قد كفروا وضلوا ، فقتلوا أنبياءك وهدموا مذابحك ، وها هم يريدون قتلي)[4] .

---

(١) في م : استمعوا .

(٢) سفر أرميا الإصحاحات (١١ ، ١٦ ، ١٧ ، ١) في سياق طويل جدا ، وقد أورده المؤلف مختصرا بالمعنى .

(٣) سفر صفنيا ١/ ٢ - ٦ .

(٤) سفر الملوك الأول ١٩/ ١٠ .

فقد تضافرت شهادات أنبيائهم بالكفر والضلال وعبادة غير الله تعالى. ـ

شهادة موسى عليه السلام على خيار أسلاف اليهود بالكفر والفسق وارتكاب محارم الله واستحقاقهم الخزي واللعن في الدنيا والعذاب في الأخرى ـ: لما قربت وفاة موسى عليه السلام قال لمن حضره من اليهود: قد عرفت جفاكم وقسوة قلوبكم وما تصيرون إليه، وكيف لا تكونون كذلك وقد أغضبتم الله وأنا حي بين أظهركم فمن بعد موتي أحرى أن تفعلوا ذلك، ثم قال عليه السلام: أخطأ
٢/٦١/ب أولاد / الأنجاس الجيل المعوج المتقلب الجاهل الذي ليس بحكيم الناسي ما صنع الله إليه من الإحسان وأراه من العجائب، شرب الخمر وملأ بطنه فتبطن وغلظ وشحم ونسي الإله العظيم الذي خلقه وبَعد من الله مخلصه ـ ثم قال ـ قال الله: أسخطوني بأوثانهم وأغضبوني بأصنامهم وذبحوا للشياطين ولم يقربوا لإله إبراهيم ولم يعرفه الجيل الجديد ونسي عهده، يا إسرائيل تركت الإله الذي أشبعك ونسيته وأسخطته، لأصرفن وجهي عنك ولأظهرن ما يكون من عاقبتك لأنك جيل خبيث أولاد من آسفني بآلهته وأسخطني بأوثانه، لأبتلينه بأمة جاهلة ضالة بعيدة عن الحكمة لا تعقل ولا تفهم.

يقول الرب: هذا كله عندي ومحفوظ في خزانتي إلى يوم النقمة[1] أجازيهم في اليوم الذي تزل فيه أقدامهم لأن يوم هلاكهم قريب معد لهم، أنا الله الرب وليس غيري، أنا أميت وأحيي وأسقم وأبرئ وليس [هارب][2] من يدي، أنا[3] الذي أشحذ سيفي وتجري الأحكام بيدي وأجازي الأعداء بالنقمة
٢/٦٢/ا وأسكر / نبلي من الدم ويأكل سيفي لحوم الجرحى، أين هي آلهتهم التي توكلوا عليها وأكلت قرابينهم؟! فلتقم الآن وتغني عنهم شيئا، والرب سبحانه يرحم

---

(١) في م: القيامة.

(٢) في ص، م (هارباً) والصواب ما أثبته.

(٣) ليست في م.

شعبه وعلى الصالحين من عباده يترأف)[1].

فقد أخبر الله تعالى عن اليهود بما أخبر، وشهد عليهم الصادق موسى بما شهد، وصدق الله ورسوله، وتعين علينا وعلى كافة عباد الله بغض اليهود ومقتهم وتكذيب أقوالهم ورد رواياتهم[2].

قال المؤلف عفا الله عنه: إنَّا لم نعتمد فيما نقلناه على تعليقات علمائنا ومؤلفاتهم حتى طالعنا توراة اليهود وأناجيل النصارى ومزامير داود ونبوات الأنبياء مرة بعد أخرى ونقلنا كما رأيناه واستنبطنا واستخرجنا مما وجدنا، فمنه ما نقلناه على نصه ومنه ما أوجزناه لركاكة نصه، وإن ما نقلناه من فضائحهم [قليل من كثير ويسير][3] من خطير. والله الموفق.

---

(١) سفر التثنية ٣١/ ٢٤ - ٣٠، ٣٢/ ١ - ٤٢ في سياق طويل وقد ذكره المؤلف مختصرا.

(٢) لقد تحققت نبوءة موسى عليه السلام في بني إسرائيل، فلم يمض وقت طويل على وفاته عليه السلام إلا وقد انحرفوا عن دين التوحيد الذي جاء به موسى والأنبياء جميعا والشواهد على ذلك من أسفارهم المقدسة لديهم كالآتي:

فقد ارتدوا في زمن يشوع فتى موسى وخليفته من بعده عليهما السلام (ر: سفر يشوع إصحاح ٢٢) وارتدوا كذلك بعد وفاة يشوع في عهد القضاة عدة مرات فعبدوا البعل وعشتاروت وآلهة الشعوب الوثنية فسلط الله عليهم كوشان ملك آرام الذي استعبدهم. (ر: سفر القضاة ٣/ ٥ - ١١) وعندما عاد بنو إسرائيل إلى عمل الشر سلط الله عليهم عجلون ملك مؤاب (ر: قضاة ٣/ ١٢ - ٣٠) وعندما انحرفوا أيضا سلط الله عليهم يابين ملك كنعان (ر: قضاة ٤/ ١ - ٢٤) ثم ارتدوا بعد ذلك عدة مرات وفي كل مرة كان الله يسلط عليهم أعداءهم (ر: سفر القضاة الإصحاحات ٦، ١٠، ١٣، ١٧).

وكذلك انحرفوا مرات عديدة في عهد الملوك. (ر: سفر الملوك الأول، الإصحاحات ١٢، ١٤، ١٥، ١٦ - ١٩، ٢٢) والملوك الثاني، الإصحاحات ١، ١٣، ١٥، ١٦، ١٧، ٢١، ٢٣، ٢٤).

وبعد هذه الانحرافات المتكررة هل يوثق بتوراة كانت بين ظهراني قوم لا يؤمنون بها وارتدوا عنها؟. وهل دينهم لازال نقيا صافيا كما جاء به موسى والأنبياء من بعده؟ أم قد حرف وبُدل واختلطت به شوائب الوثنية والشرك؟!!..

(٣) في ص، م (قليلا ... يسيرا) والصواب ما أثبته.

فضائح النصارى :

اعلم أن جميع ما ذكرنا من فضائح اليهود لازم للنصارى أيضا لأن كلتا الطائفتين تعتقد حرمة الكتب التي نقلنا / منها وتعظمها جدا، وما النصارى ٢/٦٢/ب
إلا فخذ من اليهود خلا الروم وقوم من المشرق فإنهم ليسوا من بني إسرائيل والذي يخص النصارى من الفضائح دون اليهود فمن ذلك :

٤٣ - فضيحة : زعم كل النصارى أن الكلمة الأزلية نزلت إلى الأرض فولجت فؤاد امرأة عذراء وسكنت برحمها تسعة أشهر تغتذى بفاضل قوتها ثم خرجت من فرجها إنسانا فتردد في الأرض بين الناس وناله ما ينال الأطفال من الآلام والإعلال وتقلبت به الأحوال إلى أن بلغ مبالغ الرجال، فلما شرع يشهر نفسه ويظهر قدسه توثبت[1] عليه طائفة من عبيده فكذبوا فمه وسفكوا دمه وقتلوه ظلمآنا وصلبوه عريانا[2].

فإذا قيل لهم : ما الذي أحوج الكلمة الأزلية إلى تجشم هذه القضية الدَّنية؟ .

قالوا : إنما فعلت[3] ذلك ليخلصنا من الجحيم ويخصصنا بالنعيم المقيم .
تبا لهم، أيزعمون أن الباري أو صفته عجز عن خلاص عباده حتى اعتضد
٢/٦٣/أ بناسوت اكتسبه من امرأة منهم ومانراه أيضا قدر / على خلاصهم وهو معافى بل جاء بخلاصهم فعطب، ورام سلامتهم فقتل وصلب، هذا لعمرك هو التلاعب بالدين، أعوذ بالله من الضلال واعتقاد الربوبية في الرجال .

---

(١) في ص : توبت، والتصويب من نسخة م .

(٢) ما نقه المؤلف عنهم إنما هو اختصار لسيرة المسيح عليه السلام في الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى، والمحرفة عند المسلمين والعقلاء .

(٣) في م : فعل .

٤٤ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن[١] إلههم صلب مع اللصوص ودفن في المقابر بين الأموات وقام في اليوم الثالث إلى السماء وجلس فيها[٢].

وذلك مما يأنف عن اعتقاده أهل الجنون وأرباب المجون، أسأل الله العافية.

٤٥ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن إبليس ـ لعنه الله ـ احتمل المسيح ورفعه على جبل عال وأراه الدنيا بأسرها وقال: هذا كله لي وأنا أعطيكه[٣] إن خررت لي ساجدا[٤]، هذا ينقض قولهم: أن المسيح رب إبليس ورب كل شيء، وإذا كان إبليس عبدا للمسيح، فكيف يسومه السجود له؟!!

٤٦ - فضيحة أخرى: روى النصارى أن جبريل قال مريم: إنك ستلدين ولدا تسميه يسوع المسيح يكون عظيما يجلسه الرب على كرسي أبيه داود ويملك على بيت يعقوب[٥].

ثم رووا عن بطرس أن المسيح / وأصحابه كانوا يبذلون الجزية لقيصر أسوة ٢/٦٣/ب
سائر المستضعفين[٦]. وذلك تناقض عجيب، والصحيح ما أخبر به جبريل الأمين عن رب العالمين، وأما الرواية الثانية فيلزم من القول بصحتها تكذيب جبريل، ومن كان عدوا لجبريل الأمين فهو عدو لله[٧] رب العالمين.

---

(١) في ص: زاد (إبليس لعنه الله) وهو خطأ.

(٢) وذلك مما اتفقت عليه الأناجيل المحرفة.

(٣) في م: أعطيك هو.

(٤) متى ٤/ ١-٩، لوقا ٤/ ١ - ٨.

(٥) لوقا ١/ ٣٠ - ٣٣.

(٦) متى ١٧/ ٢٤ - ٢٧.

(٧) قال تعالى: ﴿من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين﴾ سورة البقرة: ٩٨.

٤٧ - فضيحة أخرى: عند النصارى ثلاثة آلهة قديمة أزلية ورجل من بني آدم، وعبّروا عن ذلك بالأب والابن والروح القدس، وعيس ابن مريم[١] على ما تشهد به صلواتهم الثمانية، وذلك باطل وكفر. والدليل عليه قول التوراة والإنجيل (أن الله خالق العالم واحد لا شريك له)[٢] وأنه الإلٰه الحق الذي لا رب غيره ولا معبود سواه على ما تقدم فمن أشرك مع الله غيره فقد كفر بالتوراة والإنجيل.

٤٨ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن المسيح خلقها آدم وذريته وسائر الخلق أجمعين.

فيقال لهم: فمريم من خلقها؟ فإن قالوا: ليست من خلقه، نقضوا مقالهم، وإن زعموا أنه خلقها فيقال لهم: يا نوكا كيف تلد المسيح وهو خالقها؟ أم كيف ترضعه وهو رازقها؟ / أسمعتم يامعشر العقلاء بامرأة ولدت ١/٦٤/٢ خالقها وأرضعت ثديها رازقها؟!!

٤٩ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن ربهم وإلههم أكل وشرب ومشى وركب وهُزم وغُلب وصُفع وصُلب، وأكذبهم الإنجيل إذ يقول: (إن الله لا يأكل ولا يشرب ولا يراه أحد ولا رآه أحد قط إلا مات)[٣].

---

(١) في م: (ابن مريم) ساقطة.

(٢) لقد تقدم ذكر النصوص الدالة على وحدانية الله عزوجل من التوراة والأناجيل. (ر: ص ٢٣٦، ٢٣٧، وسيأتي ذكرها أيضا في ص ٤٥٩، ٤٦٠).

(٣) تقدم تخريجه (انظر ص١٢٩).

٥٠ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن معبودهم حين ولدته أمه في السفر لفته في الخرق وتركته في مذود[١] من مذاود البقر إذ لم تجد موضعا تجعله فيه[٢]، تعالى الله رب الأرباب أن تحويه معالف الدواب بل لا تحويه الأقطار ولا يحده المقدار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السمٰوات[٣].

٥١ - فضيحة أخرى: من مشائخ النصارى رجل يقال له أفريم يعظمونه جدا ويرون فيه وهو الذي يقول: إن الأيدي التي جبلت طينة آدم هي التي سمرت على الصليب، وإن الشِّبر التي مسحت السموات هي التي علقت على الخشبة.

وهذا الرجل قد جمع إلى الكفر الجنون، والجنون فنون، ومن يعتقد فيه خير فهو أجهل وأكفر منه.

٥٢ - فضيحة أخرى: النصارى يعظمون غرغوريوس وهو القائل: إن الذي لا يألم ولا يتجع صار متجعا، وإن الذي لا يحس صار محسوسا، وإن الذي لا يحد صار محدودا، وصار الخالق مخلوقا وإن من لا يقول أن مريم ولدت الله فهو بعيد عن ولاية الله[٤].

---

(١) في م: مزود من مزاود.

(٢) لوقا ٢/ ٧.

(٣) قال تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ سورة الزمر: ٦٧.

(٤) نقل ذلك أيضا القاضي عبد الجبار في كتابه (تثبيت دلائل النبوة ١/ ٩٨، ٩٩) والمهتدي نصر بن يحيى المتطبب في (النصيحة الإيمانية ص ١٩٤).

قال المؤلف: وهـذا خلاف قـول النصارى وذلك أن عنـدهم إنما كان خـاصية الاتحاد وثمرتـه أن يقع الفيض الإلهي على الشكل الإنساني فتكـسبه شرفـا، فأما أن يقع الأمر بـالعكس فيكتـسب الإله خسة ونقيصـة، فهذا ما لا يقول بـه إلا جهلة القبط من النصارى، فأما أذكياؤهم فيأنفون من القول به.

٥٣ - فضيحة أخـرى: على الطائفتين جميعا رووا عن تـوراتهم (أن الله تعالى قال لإبـراهيم الخليل عليه السـلام: إن ذريتك يستعبدون بأرض مصر أربعمائة سنة)(١).

قـال مـؤرخهم: إن هـذا القـول لم يتم بل أخلف، لأن(٢) بني إسرائيل لم يمكثوا بمصر أكثـر من مائتين وثـلاثين سنة، وقـال المنبجي أسقف منبج(٣): مائتي سنـة وخمس عشر سنة لا غير. ـ كما تقدم في حـاشية [وعد](٤) خليله / ٢/٦٥/أ
إبراهيم ـ على أنَّا لو أضفنا لهم(٥) إلى إقامتهم بمصر سني التيه وهي الأربعون لم

---

(١) ورد النص في سفـر التكـوين ١٥/ ١٣، ورد أيضـا في سفر الخروج ١٢/ ٤٠ بصيغـة مختلفـة كـالآتي (وأما إقامـة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكـانت أربعمائة وثلاثين سنة). فزيـد في عبارة سفر الخروج لفظ (ثلاثين).

(٢) في م: خلف.

(٣) منبج: اسم عجمي تكلمت به العرب، وهي مدينة في سـورية. مركز قضاء منبج (محافظة حلب). (ر: معجم ما استعجم ص ١٢٦٤ للبكري، المنجد في الإعلام ص ٦٨٦).

(٤) في ص، م (وعلى) ولعل الصواب ما أثبته.

(٥) اعترف مفسرو العهد القديم بـوقوع الغلط في مدة إقامة بني إسرائيل في مصر قالـوا: ومدة غربتهم في مصر على ما في التوراة العبرانيـة ٤٣٠ سنة، وجاء في الـسبعينية (أي النـسخـة اليونانية المعتمـدة عند النصارى الكاثـوليك) والسامرية أنها كانت نصـف ذلك أي ٢١٥ سنة، ولكن لا سبب يحملنا على إيثار ما في هـاتين على ما في الأصل العبراني، (أي على اختيار ٢١٥ على ٤٣٠) فلنـا أن نعتقد صحة العدة في العبراني. أهـ. (ر: السنن القويم ١/ ٣٦٣).

نقول: إن ترجيحهم هذا تحكم من غير دليل ومكابـرة، والصواب أن المدة مائتان وخمس عشرة سنة، وبيانه كالآتي:

يكمل لهم العدد، والله تعالى محاشى عن وقوع الخلف في خبره، بل قوله الحق ووعده الصدق سبحانه وتعالى عما يشركون.

٥٤ - فضيحة أخرى: النصارى إذا تقربوا في الكنيس الذي لهم فأكلوا الخبز وشربوا الخمر قالوا: قد أكلنا جسد الرب وشربنا دمه، ورووا عن المسيح

==

إن الزمن من دخول إبراهيم عليه السلام أرض كنعان إلى ولادة إسحاق عليه السلام (٢٥) سنة، ومن ولادة إسحاق إلى ولادة يعقوب عليهما السلام (٦٠) سنة، ولما دخل يعقوب أرض مصر كان عمره (١٣٠) سنة، فيكون مجموع السنوات من دخول إبراهيم أرض كنعان إلى دخول حفيده يعقوب عليهما السلام (٢١٥) سنة، وكانت مدة إقامة بني إسرائيل في مصر (٢١٥) سنة، فمجموع الكل (٤٣٠) سنة.

ولذلك صحح المحققون منهم عبارة النسخة السامرية واعتبروها صحيحة تزيل كل إشكال وقع في غيرها، لأنها تذكر سكنى بني إسرائيل وآبائهم في أرض كنعان وأرض مصر، ونصها في سفر الخروج ١٢/ ٤٠، كالآتي: (وسكنى بني إسرائيل وآبائهم ما سكنوا في أرض كنعان وفي أرض مصر ثلاثين سنة وأربعمائة سنة).

وقد ذهب إلى تأييد ذلك عدد من محققيهم منهم: الكاهن أبو الفتح السامري في كتابه: التاريخ مما تقدم عن الآباء ص ٦، ٧، ومؤلف كتاب: مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين، وآدم كلاك في تفسيره، وجامعو تفسير هنري وإسكات وغيرهم. (ر: الفصل ١/ ٢١٤ - ٢١٦ لابن حزم، إظهار الحق، رحمه الله، نقد التوراة ص ١٢٨، ١٢٩ د. السقا).

أنه أعطاهم خبزا وقال: هذا دمي فاشربوه[1].

وهـذا لعمرك إلى أن يعـد جنـاية مـوجبـة للعقاب أقـرب من تسميتـه قربـة مستدعية للثواب، فليت شعري أي شيء أبقوا لليهـود ولم يبلغوا منه من النكاية إلى هذه الغاية بل قالوا: إنهم اقتصروا على قتله وصلبه، فأما النصارى فكأنهم لم يرضوا له بهذا القـدر حتى ترقوا إلى تمزيق لحمه وشرب دمه، وهذا لم يسمع به إلا من العدو المشاحن وأرباب الأحقاد والضغائن.

---

(١)متى ٢٦/ ٢٦ - ٢٨، لوقا ٢٢/ ١٩، ٢٠ واستدل النصـارى على ذلك أيضا بما ورد في إنجيل يوحنا الاصحاح (٦)، وفي رسالة بولس الأولى إلى كورنثوس ١١/ ٢٣ - ٣٠.

وقد استدل النصـارى بهذه النصوص على أداء ما يسمى بـ(سر الشكر أو الأفخار ستيـا) وهو أحد الأسرار السبعة المختصة بالكنيسة ولا يجوز أداؤهـا إلا في الكنيسة وهي (١- سر المعمودية، ٢- سر الميرون، ٣- سر الشكر، ٤- سر التوبة، ٥- سر مسحة المرضى. ٦- سر الزواج، ٧- سر الكهنوت).

وتعـريف سر الشكر عنـدهم: أنه سر مقـدس يأكل بـه المؤمن (النصراني) جسد المسيح الأقـدس ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر.

وله عدة أسماء منها: العشاء الرباني، القـربان المقدس، العشاء السري، المائدة المقدسة أو السرية، خبز الرب، الخبز السماوي وغير ذلك.

وصفة إيمان الكنيسة الأرثوذكسية بهذا السر كالآتي: إننا نـؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر واستدعاء حلـول الروح القـدس على القرابين يستحيل الخبـز والخمر استحـالة سريـة إلى جسد المسيح ودمـه الأقدسين، حتى إن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزا وخمرا بسيطين، بل هما جسد الرب ذاتـه ودمه تحت شكلي الخبـز والخمر، ونـؤمن أن ربنا يسـوع المسيح حاضر في هـذه الخدمة لا بوجه الرمـز أو الإشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز، ولا بأنه مستتر في الخبـز بل هو حاضر حضورا فعليا، وهذا الإيمان هو إيمان الكنيسة كلها شرقا وغربا منذ ابتدائها.

ولا يختلف اعتقاد الكنيسة الكـاثوليكية عن ذلك إلا أنها تجيز أداء هذا السر بـالفطير بدلا عن الخبز الخمير الذي توجب الكنيسة الأرثوذكسية أداء السر به. اهـ.

ويزعمـون أن من يتناول هـذا السر فإنه يستحق أثمارا خـلاصية من أهمهـا: ١- الثبات والاتحاد مع المسيح. ٢- النمو في النعمة والكمال الروحي والحياة في الرب يسـوع. ٣- ينال عربون الحياة والقيامة المجيدة.

==

==

ومع أهمية هذا السر عندهم، فإنه ليس بمجمع عليه من النصارى جميعا، فقد أنكر، الكثيرون منهم، واعتبروا الخبز والخمر رمزا لجسد المسيح ودمه وليس حقيقة، ومن أبرز هؤلاء المنكرين يوحنا أريجانا الإيرلندي في القرن (٩م)، وبرنغاريوس رئيس مدرسة تورس بفرسا في القرن (١١م)، وطائفة البطروبروسيون (تلاميذ بطرس دي بريز بفرنسا) في القرن (١٢)، وطائفة الألبيجنيين في القرن (١٣م)، ثم يوحنا ويكلف الإنجليزي ، وزوينكل وكلفن ولوثر في العصر الحديث زعماء طائفة البروتستانت .

وكان إنكار هذا السر قديما أيضا في زمن أغناطيوس و إيريناوس وكيرنس الأورشليمي ويوحنا ذهبي الفم ـ آباء الكنيسة القدماء ـ الذين أنكروا على من أسموهم بالهراطقة الذين لا يؤمنون بهذا السر. (ر: أسرار الكنيسة السبعة ص ٦٢ - ١٠٢ حبيب جرجس، قصة الكنيسة القبطية ص ٥٠٢ إيريس حبيب) بتصرف واختصار.

وهذا السر الذي يؤمن به النصارى كعقيدة التثليث مستحيلة عقلا وشرعا، فالعقل السليم يرفض الإيمان بأن الخبز والخمر يتحولان حقيقة ـ بعد تقديسهما ـ إلى جسد المسيح ودمه . . . والاعتراضات العقلية والنقلية كثيرة في إبطال هذه العقيدة المستحيلة . (ر: إظهار الحق ص ٣٢٦ - ٣٢٨ للشيخ رحمة الله الهندي).

قال المؤلف: صَرَّح لي بهذا الحرف بعض النصارى وكان معنا في المجلس/ رجل ٢/٦٥/ب من عقلائهم، فقطع عليه الكلام وانتهره حتى فهم القصة من حضر ذلك المجلس.

فأي فائدة وأي فضل وفخر في دعوى هذا المحال على عبدالله المسيح وجعله قرآناً يتلى؟ . . . ولقباحة هذه الأقوال وسماجتها وبعدها من كلام الأنبياء صار كثير من النصارى يُسْلم من غير أن أن يطلع على محاسن دين الإسلام ونظافته من هذا الهذيان، بل تبرما وتطيرا من قباحة ما عليه النصارى لا غير.

٥٥- فضيحة أخرى: ترك طوائف من النصارى الاختتان وحرموه ورأوا أنه معصية، وأن إطالة القلف دين يُدان الله به وشرع لا يسع المكلف خلافه. فيجامع أحدهم امرأته وجلدة قلفته مستطيلة والأخرى عضوها بارز نات كأنه عرف ديك [فيكونان](١) أقبح شيء وأسمجه. وراغموا التوراة والإنجيل وسائر النبيين. أما التوراة فنصت (أن إبراهيم الخليل أمره الله بالختان فقال له: هذه عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك أن يختتنوا غرلة كل ذكر منكم ومن عبدانكم ليكون عهدي مَيْسَماً/ في أجسادكم عهدا دائما إلى الأبد، وكل ذكر لا يختتن غرلته، ٢/٦٦/أ فلتهلك تلك النفس من شعبها لأنها أبطلت عهدي، فعمد إبراهيم فاختتن وهو إذ ذاك شيخ كبير وختن أولاده وعبدانه)(٢).

فإذا كان هذا نص التوراة، أنه واجب إلى الأبد وأن تاركه يقتل؛ فقد وضح كفر من خالفه من النصارى، وغيرهم، وقد ترك الروم والفرنج وغيرهم الختان، هذا وقد اختتن المسيح وتلاميذه، والعجب من النصارى منهم من يَجُبُّ مذاكيره ويخصي نفسه، وآخرون يحلقون لحاهم، ولم يأت ذلك في شرع ولا نزل به كتاب، ويتركون الختان.

ولم يزل النصارى يختتنون بعد رفع المسيح إلى أن أتاهم رجل يدعى عندهم

---

(١) في ص، م (يكونا) والصواب ما أثبته.
(٢) تكوين ١٧/ ٩ - ١٤، ٢٣ - ٢٧.

فولس بعد المسيح بمدة متطاولة فقال لهم: (إن الختان ليس بشيء وإن الغرلة ليس بشيء)[1]، وما أعلم على النصارى أشأم من هذا الرجل - أعنى فولس - فإنه حلهم من الدين بلطيف خدعه، فحلهم من سنة الختان إذ رأى عقولهم قابلة لكل ما يلقى إليها[2].

٥٦ - فضيحة أخرى: للنصارى كنيسة ببعض البلاد يحجون[3] إليها ويعظمونها / ويزعمون أن يد الله تخرج إليهم من وراء ستر منها فتصافحهم وذلك في يوم من السنة، فبلغ ذلك بعض رؤساء دولتهم وقيل له: ألا تعجب[4] من يد الله تعالى كيف تظهر للناس ويرونها؟! فمضى ذلك الرئيس إلى الكنيس في ذلك اليوم، فلما ظهرت اليد قَرَّبه الأقساء إليها ليقبلها فلما رآها وضع يده فيها والتزمها فصاحوا به وقالوا: الساعة يخسف بنا الأرض أو تسقط ٢/٦٦/أ

---

(١) رسالته إلى غلاطية ٦ ش ١٥.

(٢) تقدم التعليق على إبطال النصارى لشعيرة الختان (ر: ص ٢٢٨) ونضيف هنا بأن كثيرا من النصارى قد مالوا إلى الختان لتقليدهم المسلمين وتأثرهم بهم عن طريق التجارة والدراسة والحروب، وأيضا لما لمسوه من الفوائد الصحية والنظافة الشخصية للختان. (ر: المجتمع القبطي ص ٢٢٣، ٢٢٤ إيريس حبيب، الصليب في الإسلام ص ٦ حبيب زيات).

(٣) الحج في تعريف النصارى هو: زيارة الأماكن المقدسة، ويُعرف من أَدىً عبادة الحج عند النصارى باسم (المقدسي) نسبة إى بيت المقدس، وتاريخ حج النصارى يبدأ على الأكثر منذ القرون الوسطى، فمنذ عهد قسطنطين سنة ٣٠٦م أخذ النصارى يزورون الأماكن التي تقدست بولادة المسيح وموته وقيامته والأماكن التي لها تعلق بعجائب المسيح، ولكن لم يقتصر النصارى على زيارة ما ذكر من الأماكن فقد توسعوا في ذلك كثيراً فأصبحوا يحجون إلى الصوامع والأديرة التي كان يقيم فيها رهبانهم وقديسيهم وإلى روما حيث كنيسة بطرس بالفاتيكان وكنائس أخرى كثيرة في ألمانيا ومصر وسويسرا وأسبانيا وبريطانيا وتركيا وغيرها كثير جدا. (ر: دائرة المعارف ٦/ ٦٩٣ - ٦٩٨ للمعلم بطرس البستاني - باختصار). وهذا يؤكد لنا أن معظم عباداتهم محرفة ومبتدعة، فالحج على الصفة السابقة إنما هو زيارة الأماكن المقدسة الأثرية أو السياحة الأثرية ولا أكثر من ذلك، وما يزعمون أنه الحج إنما هو من اتباعهم الهوى والشيطان.

(٤) في م: لا.

علينا السماء وترسل الصواعق فنهلك. فقال: دعوا عنكم هذا فإني والله لا أدع هذه اليد من يدي حتى أرى وجه صاحبها. فلما شاهدوا منه التصميم قالوا له: أرجعت عن دين النصرانية وهو دين آبائك وأسلافك؟ قال: لا ولكني أردت الوقوف على سر ذلك. قالوا: فإنها يد أسقف من أصحابنا وراء هذا الستر. فلما رآه وشاهده أرسل يده وخرج من تلك الكنيس[1] فلم يعد بعد، واشتهرت القصة. قال المؤلف: سمعت ذلك من كثير من أصحابنا المغاربة ثم شاهدت القصة مسطورة في تصنيف لبعض المغاربة[2].

٥٧ - فضيحة أخرى: للنصارى صليب من حديد / معلق في قبة كنيسة ١/٦٧/٢ لهم بالمغرب، قد وقف في الهواء بغير علاقة ولا دعامة والناس يحجون إليها ليشاهدوا الصليب ويتعجبون من تلك الآية، فأكثر التعجب من ذلك بعض ملوكهم، فقال لكاتب كان عنده من اليهود: ألا تعجب يا فلان من هذه الآية العظيمة التي في هذا الصليب؟ فذكر له اليهودي أن في جهات الصليب المذكورة حجارة المغناطيس العظام مخبأة في الجدران وفي مايوازيه من سقف القبة وأرض الكنيسة فهي التي أوجبت قيامه ومنعته من السقوط. فحضر الملك إلى الكنيس المذكور في وقت خلوة وتقدم بالكشف عن الحجارة من بعض الجدران من الصليب، فاضطرب الصليب حتى خافوا أن يسقط فعرف حقيقة الحال وانصرف[3].

٥٨ - فضيحة أخرى: للنصارى في بلد من بلاد المغرب[4] أيضا كنيسة

---

(١) في م: الكنسي.

(٢) هو كتاب (مقامع هامات الصلبان في الرد على عبدة الأوثان ومراتع روضات الإيمان) لأبي عبيدة الخزرجي الأندلسي ت ٥٨٢هـ، وقد حققه د. محمد شامه ونشره بعنوان (بين الإسلام والمسيحية) ر: ص ٢٦٨، ٢٦٩ من الكتاب المذكور.

(٣) نقل المؤلف هذه الفضيحة من المرجع السابق. (ر: مقامع هامات ص٢٦٩، ٢٧٠).

(٤) ذكر أبو عبيدة الخزرجي أن الكنيسة بالأندلس.

فيها ثريا معلقة نحو تعليق الصليب، ينزل إليها نور من فوق فتتقد للوقت في وقت من السنة، فهم يعظمون ذلك اليوم ويفخمونه، فأطرق بها بعض ولاتهم
٢/٦٧/ب فصار إليها فعرف حقيقة الحال / وذلك أنهم مَدُّوا من الجدار قصبة حديد مجوفة وأبرزوا لها أنبوبا دقيقا على وزان طرف الذبالة، فإذا كان ذلك الوقت المخصوص أرسلوا نار النفط في تيك القصبة فتخرج بسرعة فتتقد للوقت، فلما عرف وجه هذه الحيلة أمر بصفع السدنة وانصرف(١).

٥٩ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن مريم أم المسيح تنزل من السماء على الأرض دار المطران(٢) بطليطلة في يوم معروف من السنة بكسوة تلبسها له، وهم لا يشكون في صحة هذا ببلادهم، قال بعض من نقلها: ياليت شعري هل نزولها(٣) بغير إذن الأب أم بإذنه؟ فإن كان ذلك بإذنه فكيف لم يرسل بعض ملائكته ورسله ويوقر أم ولده ويصونها عن التبذل لرجل من جنسها أجنبي عنها؟. وإن كانت تنزل بغير إذنه مستبدة برأيها، فكيف يجوز من الأب أن يصطفي لنفسه خائنة تخونه وتخرج من بيته بغير إذنه إلى رجل بكسوة تكسوه(٤) وتزينه بها؟ أترون الأب لا يعلم خيانتها وترددها إلى من ليس له
١/٦٨/٢ بمحرم؟ / أو ترونها قد عشقت المطران فهي تتردد(٥) إليه شغفا به؟. فما بالها لا تولي ذلك غيرها من خدمها حتى تتجشم هي بنفسها(٦).

٦٠ - فضيحة أخرى: للنصارى عيد بيت المقدس مشهور يعرف بعيد

(١) نقل المؤلف هذه الفضيحة من المرجع السابق. (ر: مقامع هامات ص ٢٧٠، ٢٧١).
(٢) ذكر أبو عبيدة الخزرجي أن اسم المطران: دون أقريس، وبأنها كانت تنزل عليه في ليلة النصف من شهر أغسطس.
(٣) في م: ترونها.
(٤) ليست في م.
(٥) في م: زاد (له).
(٦) نقل المؤلف هذه الفضيحة من المرجع السابق (ر: مقامع هامات، ص ٢٧١).

النور، يحجون إليه في يوم من السنة، وإذا اجتمعوا عنده نزلت نار من تجويف القبة فتعلقت بذبالة القنديل فيتقد بسرعة فتكثر الأصوات وتعج بالدعاء والابتهال، فلا يشك الغر ولا يرتاب الغمر[1] أن تلك آية نزلت من السماء دالة على صحة دينهم، ووجه الحيلة في ذلك أن رجلا يختبئ في أفريز القبة من داخل وهي غلسة جدا، فإذا كان ذلك الوقت الذي يُكمل فيه اجتماعهم وقُرأ الإنجيل والكتب؛ أرسل الرجل قبسا من نار النفط فجرت على خيط مدهون بدهن البلسان فتبتدر[2] الذبالة فيتقد، فيجأرون حينئذ بالأدعية.

قال علماؤنا: وقد تفطَّن لذلك بعض ولاة بيت المقدس فصار إليهم/ في ٦٨/٢ب ذلك العيد وأراد أن يفضحهم بكشف القصة فبذلوا له مالا فقنع به منهم وانصرف، ومعلوم أن ذلك لو كان نورا لم يتقد منه المصابيح، إذ صفة النار الإحراق وصفة النور الإشراق فقط، ولو كان ذلك نازلا من السماء كما يدعي النصارى لروئي خارج القبة، والدليل على كذبهم أن تلك البقعة أقامت في أيدي اليهود مدة طويلة ثم جاء الله بالإسلام ولم يُرَ شيء من هذا الجنس[3].

٦١ - فضيحة أخرى: النصارى يصلون إلى مشرق الشمس ويتخذونها قبلتهم[4]، وقد كان المسيح عليه السلام طول مقامه يصلي إلى قبلة بيت

(١) في م: زاد (ان).

(٢) في م: فتبدر.

(٣) ذكر أبا بكر الطرطوشي (ت ٤٧٤هـ) هذه الحيلة للنصارى، ونقلها عنه ابن القيم في إغاثة اللهفان ص ٦١٩، ونقلها المؤلف عن كتاب مقامع هامات ص ٧٥، ٧٦، ٢٧٢.

(٤) إن الأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك يتجهون في صلاتهم إلى المشرق لعدة أسباب (في زعمهم) منها: أن الشرق هو الجهة التي قال السيد المسيح إنه يظهر منها عند مجيئه الثاني، ولأن المسيح نور العالم، والشرق مطلع الأنوار. ولقد كان لاتجاههم إلى الشرق تأثير في نظام الكنائس حيث جعلت جميع الهياكل تقام في الجهة الشرقية من الكنيسة.
أما الأقباط الإنجيليون (البروتستانت) فيتجهون في صلاتهم إلى أية جهة. (ر: المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر ص٦٢٢ - رياض سوريال).

المقدس قبلة موسى بن عمران والأنبياء (وقال: إني لم آت لأنقض[1] التوراة بل لأكملها، وأن السماء والأرض ليزولان وكلمة واحدة من الناموس لا تزول حتى يتم بأسره)[2]. غير أن النصارى خالفوا المسيح والأنبياء واعتذروا في توجههم إلى المشرق بأنه الجهة التي صلب إليها ربهم وقتل فيها إلٰههم فيقال لهم: يا حمقى لو كنتم أولي ألباب لَمَقَتُّم جهة الشرق وأبغضتموها / وتَطَيَّرتم بها ١/٦٩/٢ ورفضتموها في أمور العادة فضلا عن العبادة، وذلك لأنها الجهة التي لم يصل إليها المسيح ولا شهدت [لها الأناجيل ولا[3] صَلَّى] إليها نبي من الأنبياء البتة ثم إنها الجهة التي[4] تشتت بها شملكم وبددت[5] كلمتكم وفرقت جموعكم، فتعظيمكم لهذه الحجة هي أشأم الجهات عليكم، أمر يقتضي السخرية بكم والإزراء عليكم، وكان الأولى بكم أن لا تتحولوا عن جهة بيت المقدس لقول الإنجيل (أن امرأة سامرية من اليهود قالت للمسيح: يا سيد، آباؤنا سجدوا في هذا الجبل للأب فكيف تقولون أنتم أنه أورشليم؟ فقال لها: أيتها المرأة أنتم تسجدون لما لا تعلمون ونحن نسجد لما نعلم)[6] فهذا المسيح يشهد أنه ليس لله قبلة يصلى إليها إلا بيت المقدس الذي هو أورشليم، أفأنتم أعرف وأعلم من المسيح بما يجب لله تعالى؟ ـ إنا لله وإنا إليه راجعون على عقولكم ـ لقد رميتم فيها بداهية.

---

(١) في ص: (لأجل الأنبياء)، وفي م: (لأجد) والتصويب من النص.

(٢) متى ٥/ ١٧، ١٨.

(٣) في ص: (ولا الأناجيل صلى إليها)، وفي م: (الأناجيل بأن صلى)، والتصويب من المحقق ولعل الناسخ أخطأ في التقديم والتأخير. والله أعلم.

(٤) في م: (إنها الجهة التي) ساقطة. (٥) في م: وبدت. (٦) يوحنا ٤/ ١٩-٢٢.

٦٢ - فضيحة أخرى: الروم من النصارى / على كثرة طوائفها لا يرون ٢/٦٩/ب وجوب الاستنجاء فيبول أحدهم ويغوط ويقوم من فوره إلى مصلاه وهو متضمخ ببوله[١]، وذلك مما أحدثوه بعد المسيح. وإلا فشرائع الأنبياء عليهم السلام قد وردت أن العبد لا يقوم إلى الصلاة إلا وهو على أكمل أحواله. فيجتمع لهم في الصلاة [أمور][٢] قبيحة منها: أن يقوموا بغير طهارة، ومنها: استدبارهم[٣] قبلة المسيح التي كان يصلي إليها، ومنها: دعواهم وتضرعهم إلى رجل من بني آدم أن يغفر لهم خطاياهم، ويكفر عنهم سيئاتهم، وربما

---

(١) قال ابن القيم: إن النصراني يقوم من على بطن المرأة يبول ويتغوط ولا يمس ماء ولا يستجمر، والبول والنجو ينحدر على ساقه وفخذه ويصلي كذلك، وصلاته صحيحة تامة عنده، ولو تغوط وبال وهو يصلي لم يضره؛ فضلا عن أن يفسو أو يضرط، ويقولون: إن الصلاة بالجنابة والبول والغائط أفضل من الصلاة بالطهارة لأنها حينئذ أبعد من صلاة المسلمين واليهود وأقرب إلى مخالفة الأمتين. (ر: هداية الحيارى ص ٢٦٣، إغاثة اللهفان ص ٦١٦).

ومما معلوم أن الطهارة في الديانتين الإسلامية واليهودية تعتبر شرطا أساسيا في صحة الصلاة وقبولها، بعكس النصرانية التي تعتبر الطهارة الجسمية أمورا رمزية ثانوية لا قيمة لها أساسا، وهذا من التحريف الذي أحدثه النصارى في دينهم قطعا حيث إن الطهارة لأداء الصلاة مما وردت به شرائع الأنبياء جميعا، وقد تطرف القساوسة والرهبان في العصور الوسطى إلى حد اعتبار القذارة من وسائل التقرب إلى الله وأن النظافة من عمل الشيطان، فكان أزهدهم وأتقاهم أبعدهم عن الطهارة وأوغلهم في النجاسات، حيث يقول الراهب أنتهنس: إن الراهب أنتوني لم يقترف إثم غسل الرجلين طول عمره، وكان الراهب أبراهام لم يمس وجهه ولا رجله الماء خمسين سنة، وقد أبت العذراء سلفيا أن تغسل جزءا من جسدها عدا أصابعها، وكان في أحد الأديرة النسائية (١٣٠) راهبة لم تستحم واحدة منهن قط أو تغسل قدميها، إلا أن الرهبان مالوا إلى استخدام الماء في آخر القرن الرابع، وسَخِر الأب إسكندر من هذا الانحطاط، فأخذ يحن إلى تلك الأيام التي لم يكن فيها الرهبان يغسلون وجوههم قط. (للتوسع ر: قصة الحضارة ١٢/ ١٢١ -١٢٣، تاريخ أخلاق أوروبا الجزء الرابع، كتاب: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٦٨، ١٦٩، لأبي الحسن الندوي).

(٢) في ص، م (أمورا) والصواب ما أثبته.

(٣) في م: استدبارها.

سألوه بحق المسامير التي سمر بها في يديه وبالخشبة التي صلب عليها بزعمهم على ما أذكر منه طرفا في آخر فضائحهم.

٦٣ - فضيحة أخرى: من النصارى من لا يقبل توبة [المذنب][١] مالم يعترف له بذنوبه. ويقر له بإجرامه ويشرح ما فعله في طول عمره، وأنه زنى وسرق وقتل وفعل كيت وكيت ويعدد الخائر[٢] ما ستره الله عليه ويبدي عورته لهم، فيجد أكابرهم الوسيلة إلى التحكم في ماله والتبسط في ما حواه من دنياه
٢/٧٠/أ فيطوفون حوله[٣]/ ويوظفون عليه ما رأوه[٤] لائقا بماله واتساع حاله، ويبقى المثكل في أيديهم وفي قبضتهم طول عمره؛ وقد أُرِّخَت عليه سيئاته وخلدت في دفاترهم قبائحه، وعرفها من لم يعرفها منهم ومن غيرهم، وعيرت بها أولاده وعقبه من بعده جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن[٥]، ولقد بلغني عمن لا أشك في صدقه وثبته أن النصارى عندنا بمصر أرادوا نصب رجل من أفضلهم بطريكا عليهم، فبينما هم على ذلك إذ جاء آخر من أكابرهم وذوي الهيبة فيهم، فاعترف أنه وهذا

(١) أضفنا هذه الكلمة لتستقيم العبارة ويتضح المعنى. والله أعلم.

(٢) الخائر: أي الضعيف والجبان. كما في القاموس ص ٤٩٧.

(٣) في م: (فيطوفون حوله) ساقطه.

(٤) في م: ماداؤه.

(٥) هذه الفضيحة التي ذكرها المؤلف تسمى عند النصارى بـ(سر التوبة) وهو أحد الأسرار السبعة للكنيسة، وتعريفه عندهم: هو سر مقدس يرجع الخاطئ إلى الله ويتصالح معه تعالى. والاعتراف جزء من سر التوبة وتعريفه هو: إقرار الخاطئ بخطاياه أمام كاهن الله إقرارا مصحوبا بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطية وعدم الرجوع إليها، لينال الحِلّ منه بالسلطان المعطى له من الله (المسيح) القائل (من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت) يوحنا ٢٠/ ٢١ - ٢٣، وكذلك في متى ١٦/ ١٩، ١٨/ ١٧، ١٨.
وهناك عقوبات وتأديبات كنسية متعددة على المذنب منها: الصوم الخصوصي علاوة على الأصوام المفروضة على جميع النصارى، وصلوات يقدمها الخاطئ في مخدعه مع عدد من الركعات، وتأخير التناول من الأسرار المقدسة وقتا مناسباً لثقل خطيته، وتوزيع جزء من ماله صدقة على الفقراء.
وتختلف نظرة الكنيسة الأرثوكسية عن الكاثوليكية في أن الغرض من هذه التأديبات إصلاح حال الخاطئ ليس إلا، ولكن الكنيسة الكاثوليكية تعتبرها قصاصات حقيقية، الغاية منها وفاء العدل

==

المرشح للبتركة قد فعل كل واحد بصاحبه الفعل المحذور أيام الحداثة فتصادقا على ذلك، فأفسدوا على النصارى ما راموا من نصب الرجل وتوليته عليهم، وهذا أمر لا أصل له في شريعة ولا نص عليه ناموس؛ ولكنه شيء اختلقه الجهلة من مشائخ النصارى اختلاقا وابتدعوه بعقولهم ابتداعا.

٦٤ - فضيحة أخرى: / زاد النصارى في صومهم الكبير[١] جمعة يصومونها ٢/ ٧٠/ب لهرقل[٢] ملك البيت المقدس، وسبب ذلك أن الفرس لما استولوا على البيت المقدس وقتلوا النصارى وهدموا الكنائس؛ أعانهم اليهود على ذلك وكانوا أشد فتكا في النصارى من الفرس، فلما توجه هرقل إلى بيت المقدس تلقاه اليهود بالهدايا وسألوه الأمان فكتب لهم كتابا يؤمنهم فيه على أنفسهم وأموالهم. فلما

==

الإلهي الذي أهانه الخاطيء بخطاياه، وبناء على ذلك فقد تمادت الكنيسة الكاثوليكية في إصدار الغفرانات (صكوك الغفران) وقررته حقاً لها في المجمع الإيتراني الرابع سنة ١٢١٥م، فأصبح البابا يوزع تلك الصكوك، وتباع وتشترى كالسلع متضمنة الصفح والغفران ليس عن الخطايا الماضية فقط بل والمستقبلة أيضا، فأصبحت هذه الصكوك مصدرا لزيادة ثراء رجال الكنيسة وتوفير الرفاهية والترف لهم، لذلك فقد اعترضت الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية على هذه الصكوك واعتبرتها عارا على النصرانية. (ر: أسرار الكنيسة ص ١٠٣ - ١٢٧ حبيب جرجس - بتصرف - قصة الكنيسة القبطية ص ٥٠٢ - ٥٠٤ إيريس حبيب، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ١٧٣ لأبي الحسن الندوي).

(١) ويسمى بالصوم المقدس وعدد أيامه (٥٥) يوما، وهي عبارة عن الأربعين يوما التي صامها المسيح مضافا إليها أسبوعان: الأول قبل الأربعين ويسمى أسبوع الاستعداد والتهيئة للصوم الأربعيني المقدس، والأسبوع الثاني أسبوع الآلام، ويأتي بعد الأربعين وينتهي بـ (أحد القيامة). ولهم مواسم للصوم كثيرة منها: صوم يوم الأربعاء، ذكرى التشاور للقبض على المسيح، وصوم يوم الجمعة ذكرى صلب المسيح - حسب زعمهم -، صوم الميلاد وعدد أيامه ٤٣ يوما ينتهي بعيد الميلاد. ويزعمون أن الصوم ليس إجباريا عليهم وإنما هواختياري، وميقاته تتخالف فيه فرقهم، وكيفية صومهم: هو الامتناع عن تناول الطعام مدة من النهار قد تصل إلى الظهر أو العصر أو الغروب - حسب مقدرة الصائم - ويتناول الصائم بعدها أطعمة خالية من الدسم غير الحيواني. (ر: المجتمع القبطي ص ٢٢٨ رياض سوريال، دائرة المعارف ١١/ ٧٠ بطرس البستاني، النصرانية والإسلام ص ٨٢ محمد الطهطاوي).

(٢) هرقل (هيراكليوس): إمبراطور الروم (٦١٠ - ٦٤١م) عرف عهده حروبا كثيرة مع الفرس، وحرر بيت المقدس منهم سنة ٦٢٨م.
(ر: قصة الحضارة ١٢/ ٢٩٥، فجر المسيحية ص ٢٠٨ حبيب جرجس، المنجد في الأعلام ص ٧٢٧).

==

دخل البيت المقدس شكى إليه النصارى ما لقوا من اليهود وكيف مالؤا عليهم الفرس وسألوه قتل اليهود فقال: كيف أقتلهم بعد أن أمنتهم؟ فقالوا: نحن نصوم عنك جمعة في أول الصوم الكبير كفارة لخطيئتك هذه، وندع أكل اللحم في الصوم ما دامت النصرانية، ونلعن من يخالف ذلك ونُعيِّره ونكتب به إلى الآفاق غفرانا لذنبك. فأجابهم إلى مسألتهم وملتمسهم وقتل اليهود قتلا ذريعا.

فصاموا له جمعة في أول الصوم وكتبوا بذلك إلى سائر البلاد، وأهل بيت المقدس ومصر يصومونها، وبقية أهل / الشام لا يأكلون اللحم[1] فيها ويصومون الأربعاء والجمعة[2]. ولا شك أن هذا وشبهه من باب التلاعب بالدين، وقد صار هذا النمط سجية للنصارى وخلقا. أليس هم الذين عمدوا إلى إنسان قد تربى بينهم طفلا ونشأ حتى صار كهلا فاتخذوه إلهاً

٢/٧١/أ

(١) قال ابن القيم: وإذا شئت أن ترى التغيير في دينهم، فانظر إلى صيامهم الذي وضعوه لملوكهم وعظمائهم، فلهم صيام للحواريين وصيام لماري مريم، وصيام لماري جرجس وصيام للميلاد، وتركهم أكل اللحم في صيامهم مما أدخلوه في دين المسيح، والا فهم يعلمون أن المسيح عليه السلام كان يأكل اللحم، ولم يمنعهم منه لا في صوم ولا في فطر، وأصل ذلك: أن المانوية كانوا لا يأكلون ذا روح، فلما دخلوا في النصرانية خافوا أن يتركوا أكل اللحم فيقتلوا، فشرعوا لأنفسهم صياما فصاموا للميلاد والحواريين، وماري مريم، وتركوا في هذا الصوم أكل اللحم محافظة على ما اعتادوه من مذهب ماني، فلما طال الزمان تبعهم على ذلك النسطورية واليعقوبية، فصارت سنة متعارفة بينهم ثم تبعهم على ذلك الملكانية. أهـ.

(نقل ابن القيم ذلك من تاريخ ابن البطريق (نظم الجوهر). ر: إغاثة اللهفان ص ٦١٨، الجواب الصحيح ٣/ ٣٤).

(٢) ذكر هذه الفضيحة بنصها ابن القيم في إغاثة اللهفان ص ٦٢٤، والمقريزي في خططه ٣/ ٥٣٣، ٥٣٤.

وأعلنوا بعبادته سفاهـا وخاطبوه بالربوبية شفاهـا؟! نعوذ بالله من الضلال وأن نشرك مع الله الرجال.

٦٥ - فضيحة أخرى: للنصارى عيد يقـال له (عيد ميكائيل) ليس له أصل في شرعهم ألبتة بل هـو مما أحدثـوه وابتدعـوه، وسبب إحداثه على مـا ذكر أهل العلم: أنه كان بالأسكندرية صنم[١] وكان أهل الاسكندرية ومصر يُعَيِّدون له عيدا عظيما[٢] ويذبحـون له الذبـائح، فولي بطركـة الإسكندرية رجل يقـال له (الأكصيدروس)[٣] فرام إبطـال هذا العيـد وتعطيل الصنم فلم يقدر مـن عوام النصارى، فقال: إن تعبدكم لصنم لا يضر ولاينفـع لضلال وكفر، فلو جعلتم هـذا العيد لميكـائيل المَلَك وذبحتم لـه الذبـائح / لكـان يشفع لكم عند اللـه ٢/٧١/ب وذلك خير لكم من هـذا الصنم، فـأجابـوه إلى ذلك فكسر ذلك الصنم واتخذ منـه صلبانـا وسمي الهيكل (كنيسة ميكـائيل) وتحول العيـد فصار لميكـائيل إلى اليـوم بمصر وتخومهـا ولا أصل لـه في زمـن المسيح ولا في زمن الحواريين[٤]، والشيء الضعيف لا يـزيده الأمر البـاطل إلا ضعفا، والحق مـستغن بنفسـه عن أن يقوى بأمثال هذه الترهات.

---

(١) ورد أنه كان صنما عظيما من نحاس في هيكل عظيم، بنته أكلا أو بطرة الملكة وسمَّته باسم زحل.

(٢) كان ذلك العيد في شهر تشرين الثاني.

(٣) ورد أن اسمه (الأسكندرس).

(٤) ذكر أبو المكارم (النصراني) في كتابه المخطوط (تاريخ الكنائس والأديرة ١/ ١٥٢، ١٥٣) قصة عيد ميكـائيل والكنيسـة التي يقام فيهـا هـذا العيـد، بمثل مـا أورده المؤلف - رحمه الله - وأضـاف أبـو المكارم: بأن الكنيسة تسمى بـ(كنيسة القيسارية) وقد أحرقت هـذه الكنيسة في يوم الإثنين لثلاث خلـون من شـوال سنة ثلثمائة، عنـد دخـول المغـاربـة (القـرامطـة مع المسمى أبـو عبيـد اللـه) إلى الإسكندرية. أهـ.

وقد نقل هذه القصـة (الفضيحة) بعض علماء المسلمين في الرد على النصارى وبيان سخـافة عقولهم وتهاونهم في أمور دينهم وتأثـرهم بالوثنيـة، ومن هؤلاء العلماء الإمـام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/ ٢٠، ٢١، وابن القيم في هدايـة الحيارى ص ٣٢٢، وفي إغاثة اللهفـان ص ٦٢٥، والمقريزي في خططه ٣/ ٥٢٥، ٥٣٩.

٦٦ - فضيحة أخرى: للنصارى عيد يعرف بعيد الصليب[١] لا أصل له ألبتة وهو مما أحدثوه بعد رفع المسيح كعيد ميكائيل وعيد النور وغيره، قال العلماء: من ميلاد المسيح إلى أن وجد الصليب ثلثمائة سنة وثمان عشرة سنة. وسبب إحداثه أن اليهود اتخذوا المقبرة التي دفن فيها الشبه مزبلة يطرحون فيها الكناسات والأوساخ تحقيرا لشأن المصلوب وتصغيرا لقدره، فأقامت مزبلة نحوا من ثلثمائة سنة إلى أن جاءت زوجة[٢] قصطنطين الملك فأمرت بالكشف عن المقبرة فظهرت لها فإذا / فيها ثلاث صلب وهم صليب اللصين والشبه ٢/٧٢أ
فقالت: كيف لنا أن نَعْلَم خشبة ربنا التي صلب عليها؟ وكان هناك مريض قد أشرف على الموت، فأمرت فوضع عليه الصليب فلم يقم، فأمسته الثاني فلم يقم، فأمسته الثالث فقام وبرأ من علته كأن لم يكن به بأس، قال النصارى: فعلمت أنه صليب الرب فعلقته بالذهب وبعثت به إلى الملك[٣].

---

(١) يحتفل النصارى عادة بهذا العيد في الثالث في شهر مايو كل عام ويسمى (عيد اكتشاف الصليب) إحياء لذكرى قصة اكتشاف الصليب الذي صلب عليه المسيح - حسب زعمهم.
أما الكنيسة القبطية فإنها تحتفل بعيد ظهور الصليب باحتفالين:
الأول: ذكرى اكتشاف الصليب على يد الإمبراطورة هيلانة في يوم ١٦ من شهر توت (من الشهور القبطية) سنة ٣٢٦م.
الثاني: ذكرى استرجاع الصليب من الفرس الغزاة على يد الإمبراطور هرقل في يوم ١٠ من شهر برمهات سنة ٦٢٧م.
(ر: السنكنار ٢/ ٢٩، ٣٠ الأنبا بطرس الجميل وغيره، ما هي النصرانية؟ ص ٧٤، محمد تقي العثماني).

(٢) الصواب أنها أم الإمبراطور قسطنطين وليست زوجته ويسميها النصارى (القديسة هيلانة) أو (هلينا) الملكة) كما ذكر ابن البطريق في تاريخه نظم الجوهر وغيره من المصادر النصرانية.

(٣) وردت هذه القصة في تاريخ سعيد ابن البطريق (ت ٩٤٠م) المسمى بـ (نظم الجوهر) ونقلها عنه العلماء في بيان سخافة دين النصارى، ومن هؤلاء العلماء ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/ ٢٥، وابن القيم في إغاثة اللهفان ص ٦٢٥، ٦٢٦، والقرافي في أدلة الوحدانية في الرد على النصرانية ٧٥-٧٧، والمقريزي في خططه ٣/ ٥٢٥، ٥٥٢ وغيرهم. كما نقلتها المصادر النصرانية أيضا مثل كتاب السنكسار ٢/ ١٦٢، ١٦٣، موجز تاريخ المسيحية ص ١٩٠، ليطس الدويري، لكننا نستغرب من أن المؤرخ يوسابيوس القيصري - الذي عاش في العصور الأولى ٢٦٤ - ٣٤٠م وكان معاصرا للإمبراطور قسطنطين، وأسقفا لقيصرية - لم يذكر هذه القصة في كتابه (حياة قسطنطين

وإذا كان هذا إنما جرى بعد المسيح بهذه المدة فكيف يعد مأخوذا عن المسيح؟. وهذه الأعياد لو كانت معتبرة لكان الأولى أن تكون مسطورة في الإنجيل ومأخوذة عن التلاميذ، ولو بعث الله التلاميذ الآن لم يعرفوا منها ولا مما عليه النصارى شيئا، إذ ما في أيديهم شيء مما كان عليه المسيح وأصحابه.

ونحن ـ يرحمك الله ـ نسأل النصارى فنقول: أخبرونا بماذا استحق الصليب عندكم هذا التعظيم والتفخيم حتى صرتم تقبلونه وتمرونه على أعينكم وتصلبون به على وجوهكم[1]، فمنكم من يصلب على وجه بإصبع/ واحد وهم القبط، ٢/٧٢/ب
ومنكم من يصلب بإصبعين وهم الروم، ومنكم من يصلب بالخمسة وبالعشرة وهم الفرنج[2].

العظيم) الذي أرَّخ فيه حوادث عصر قسطنطين، ومع ثنائه في هذا الكتاب على الأعمال الخيرية التي قامت بها الإمبراطورة هيلانة أم قسطنطين فإنه لم يشر أبدا إلى القصة السابقة (ر: حياة قسطنطين ص ١٠٣ - ١٠٥)، و يدلنا ذلك على كذب هذه القصة واختلاقها بعد عصر قسطنطين إذ لو كانت القصة صحيحة لبادر إلى ذكرها المؤرخ يوسابيوس الذي يكيل الثناء والمديح بلا حساب لسيده الإمبراطور قسطنطين.

(١) قال أفرايم السرياني - أحد كبار أحبار النصارى وقديسيهم الأوائل - لا تعمل عملا إلا وتبدأ بإشارة الصليب، وكذلك اختم بإشارة الصليب الحي جميع أعمالك، لا تخرج من باب منزلك قبل أن ترسم نفسك بالصليب، ولا تغفل عن ذلك في طعامك وشرابك، حين رقادك أو استيقاظك، في البيت أو في الطريق، في العمل أو في الاستراحة. أهـ. (ر: الوسائل العلمية للاصلاحات القبطية ص ١٠٥، ١٠٦ حبيب جرجس).

(٢) يقول حبيب زيات النصراني: اختلف النصارى منذ القرون الأولى في كيفية التصليب على عدة أشكال:
أ - التصليب بأصبع واحد - وهي سنة اليعاقبة من سريان وأقباط وحبش ونوبة، ابتداء من العلو إلى الأسفل (إشارة إلى نزول المسيح من السماء إلى الأرض)، ومن الشمال إلى اليمين (إشارة إلى نقلهم من جهة الشمال التي هي الخطيئة إلى ناحية اليمين التي هي المغفرة ومحل النعمة حيث يكون سيدهم).
ب - التصليب بأصبعين - وهو ما كان الأقباط والسريان والنساطرة يتهمون به الروم البيزنطيين والملكيين بالتصليب بأصبعين.
جـ - التصليب بثلاثة أصابع - هو الشكل القديم الذي عَمَّ الكنيستين الشرقية والغربية قبلا، ولا تزال تستعمله الكنيسة البيزنطية، وجرى عليه الأرمن.
د - التصليب بالأصابع الخمس - شاع ذلك في الكنيسة اللاتينية بعد القرن ١٣م، واختاره الموارنة والسريان الكاثوليك من الشرقيين تقليدا للإفرنج منذ القرنين ١٦م، ١٧م.
ثم يقول حبيب زيات مستغربا مما ذكره المؤلف بأن منهم من يصلب بالخمسة والعشرة: وأغرب من ذلك حكاية بعض كتبة الإسلام عنهم أنهم يصلبون بالخمسة والعشرة، ولا ندري ما الذي رأوه من إشارات الصليبيين حتى نسبوا لهم استعمال اليدين معا في التصليب. (ر: الصليب في الإسلام، ص ٢٦ - ٣٨ باختصار).

أفهذا دين نقلتموه عـن الأنبياء وأخذتموه[1] من شرائع الرسل؟ فـأرونا ذلك في تـوراة موسى ونبـوات أشعيا وأرميـا ومزامير داود، وأَنَّى تجدون ذلك في هـذه الكتب وهي مشحونـة بالتـوحيد كما قد بينـاه، وقد كـان من حُكْم الصليب لو كنتم أَلِبَّاء عقلاء أن تمقتوه وتلعنوه وتميتوا ذكره وتخفوه فلا تعلنوه، فإن قالوا: إنما عظمناه لأنه شَرُفَ بصعود المسيح عليه ونحن نقبله ونعظمه لذلك.

قلنا: فهلاَّ تعظمـوا الحُمُر وتقبلوها وتسجدوا لها لأن لـوقا وغيره قد أخبر أن المسيح ركب حمارا عند دخـوله المدينة والصبيـان بين يديه ينـادون: مبارك الآتي باسم الرب[2]، فكان ركوبه الحمار في حال تعظيمه وكرامته وركوبه الصليب في حال تصغيره وإهانته، فهلاَّ تعظمون الحمير وتضمخونها بالعبير وتقبلونها فإنها أفضل من الصليب بكثير/، فشتان بين مركـوب بالرئاسة مخصـوص، ومركوب ٢/٧٣/أ قرنـه باللصـوص، فلو عقل النصارى لأسقطـوا ذكر الصليب ورفضـوه ومقتوا ذكره[3] وأبغضوه، فإن ذاكره يُعَرِّض بربهم ويُنوِّه بثلبهم.

٦٧ - فضيحة أخـرى: النصارى مختلفـون في السـجود للصـور، فمنهم من يؤثره ويهواه، ومنهم من كان يكرهـه ويأباه، وأكثرهم على المذهب الأول بدليل أن كنـائسهم لا تكاد [تخلـو][4] من الصـور، وهـذا مما أحـدثـوه بعـد المسيح وأصحابـه[5]، وهـذه الأناجيل الأربعـة في أيـدينـا ليس فيها شيء يـدل على انتحال ذلك ألبتة، بل قـد صرحت بالتوحيد من غير مـوضع كما قدمناه، وأَيُّ فرق بين السجود للصـورة والسـجود للوثن والصنم؟. ولو كـان ذلك من الدين

(١) في م: وأحدثتموه.

(٢) متى ٢١/ ٩.

(٣) في م: ومنعتوا ذاكره.

(٤) في ص، م (تخلوا) والصواب ما أثبته.

(٥) ورد النهي عن صنع التماثيل والتصاويـر (وتسمى عندهم بالأيقونـات) والسجود لها صريحا في التوراة سفر اللاويين ٢٦/ ١ كالآتي (لا تصنعـوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحـوتا أو نَصَباً ولا تجعلوا

لكان أولى الصور المسيح وأولى الناس بالسجود لها الحواريون، وقد بقوا بعد المسيح حتى اخترموا لم يؤثر عنهم شيء من هذا القبيل، وقد ذكرنا أن التوراة قد

في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له، لأني أنا الرب إلهكم) وتكرر ذلك النهي أيضا في سفر التثنية ٤/ ١٥-٢٠ .

يقول ول ديورانت: إن الكنيسة - أول أمرها - تكره الصور والتماثيل وتعدها بقايا من الوثنية، وتنظر بعين المقت إلى فن النحت الوثني الذي يهدي إلى تمثيل الآلهة، ولكن انتصار المسيحية في عهد قسطنطين وما كان للبيئة والتقاليد والتماثيل اليونانية من أثر في القسطنطينية والشرق الهلنستي - كل هذا قد خفف من حدة مقاومة هذه الأفكار الوثنية، ولما أن تضاعف عدد القديسين المعبودين نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم، فظهر لهم ولمريم العذراء كثير من الصور، وحول الشعب المسيحي الآثار والصور والتماثيل المقدسة إلى معبودات يسجدون لها ويقبلونها ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي. أهـ .

وعندما تولى الامبراطور ليو الثالث (٧١٣ - ٧٤١م) عرش الإمبراطورية - وكان متأثرا بالمسلمين في تحريمهم التماثيل والصور - فإنه عقد مجلسا من الأساقفة وأعضاء مجلس الشيوخ وأذاع بموافقتهم في عام ٧٢٦م مرسوما يقضي فيه تحريم عبادة الأيقونات وإزالتها من الكنائس والأديرة، وسانده في هذا المرسوم المثقفون من النصارى، ولكن عارضه المؤيدون لعبادة الأيقونات وهم الرهبان والأساقفة وقاموا بمساندة الشعب بثوراتهم ضده، وخلفه ابنه قسطنطين الخامس (٧٤١-٧٧٥م) الذي عقد مجمعا بالقسطنطينية سنة ٧٥٤م للتأكيد على تحريم عبادة الأيقونات، كما سار على نهجه ابنه الرابع (٧٧٥- ٧٨٠م) وبعد موته انتقلت السلطة إلى أرملته (إيريني) الوصية على ابنها الصغير قسطنطين السادس، وقد كانت من أشد أنصار عبادة الصور والتماثيل ، فألغت تنفيذ المرسوم السابق وعينت طرسيوس - وهو من دعاة الأيقونة - في منصب بطريرك القسطنطينية ، ثم سعت إلى عقد المجمع المسكوني السابع في نيقية سنة ٧٨٧م الذي أقر تعظيم الصور والتماثيل المقدسة لا عبادتها وبأنه تعبير مشروع عن التقى والإيمان النصراني، وبذلك انتصر المؤيدون لمذهب الصور وعبادتها لكن الصراع لازال دائراً حيث أيدت طائفة البروتستانت القول بتحريم الصور والتماثيل وإزالتها من الكنائس .

(قصة الحضارة ١٤/ ١٥٤-١٥٨، المسيحية في العصور الوسطى ص٤٧, ٥٢-٥٤ -جاد المنفلوطي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص ٢٢٥-٢٣٩، د. رؤوف شلبي).

شددت وغلظت على من يفعل شيئا من ذلك/ ، والمسيح عليه السلام قد[1] ٢/ ٧٣/ب
قال في إنجيله (إنه لم يأت لنقض التوراة بل جاء لإكمالها)[2] فهذه التوراة مصرحة بتكفير عابد الصور وهذا الإنجيل ليس فيه لها ذكر، وهذه كنائس النصارى مملوءة بها، فلم يبق إلا المجاهرة والعناد وعبادة الأنداد.

٦٨ - فضيحة أخرى: للروم كنيسة ببعض بلادهم يحجون إليها في يوم من السنة فيشاهدون صنما بها، إذا قُرأ الإنجيل بين يديه درَّت ثدياه وخرج منه اللبن فيشاهده من حضر ويتحدث فيه من غاب ويعدها آية بينة ودلالة على الدين ليست بالهينة، ويحصل للسدنة بسبب ذلك مال عظيم، فبحث ملكهم عن ذلك فوجد القَيِّم قد ثقب من وراء الجدار طاقة لطيفة وهندمها حتى أوصلها بثدي الصنم وجعل فيها أنبوبة من نحاس وأصلحها بالجير وأخفى أمرها، فإذا كان يوم العيد فتحها وصب فيها لبنا فيخرج من ثدي الصنم ويسقط نقطة نقطة على تدريج فلا يشك من حضر أنها آية ظهرت عند/ تلاوة الإنجيل وبركة ٢/ ٧٤/أ
العيد، فلما انكشف له وجه هذه الحيلة ضرب عنق القيم وتقدم أن لا يبقى في الكنائس ببلده صورة[3]، فوقع بينهم اختلاف بذلك وكفَّر بعضهم بعضا وبَدَّعه وتبرأ منه.

٦٩ - فضيحة أخرى: للنصارى صنم بالقسطنطينية له عيد في السنة تحج إليه النصارى من كل وجه في يوم مشهود، فإذا تلي الإنجيل بين يديه بكى بالدموع الغزار، فيشاهد ذلك من حضر ويكثرون الابتهال والدعاء ويعجون بالبكاء فاجتمع عنده مال واحتاج الملك إلى قرض فرام اقتراض ذلك وأخذه

---

(١) في ص: فقد، والمثبت من م.

(٢) متى ٥/ ١٧.

(٣) نقل ابن القيم هذه الفضيحة وذكر أنها حدثت في زمن المتوكل (ر: إغاثة اللهفان ص ٦١٩)، ولكن ذكر المقريزي أن هذه الفضيحة وقعت في زمن (قسيا) - الذي تولى بطركية اليعاقبة في مصر سنة ٢٤٤م وأقام فيها سبع سنين وخمسة أشهر ثم مات - وبأن اسم الملك الذي أمر بمحو الصور من الكنائس بسبب هذه الفضيحة - هو نوفيل بن ميخائيل ملك الروم. (ر: الخطط ٣/ ٥٣٩).

فأبى عليه القَيِّم فحضر الملك إلى الكنيس بنفسه وقال للأسقف : اقرأ الإنجيل الساعة حتى نرى كيف يبكي الصنم . فقال : إنما يبكي في يوم واحد من السنة . فاستشعر الملك أن تلك مخرقة فتقدم يحفر ماتحت الصنم فوجد حفرة مصنوعة والصنم مُجَوّف من أسفله تجويفاً ضيقاً فإذا كان ذلك اليوم وضع الأسقف في تلك الحفرة / قربة ماء وجعل فيها أنبوبة مستطيلة رقيقة متصلة ٢/ ٧٤/ ب برأس الصنم وستر الحفرة سترا محكما فإذا مسَّها ماسٌّ وأضغطها صعد الماء في الأنبوبة إلى رأس الصنم وقد حشي رأسه بالقطن فإذا تشرب القطن الماء سالت منه دمعات وسقطت من عيني الصنم على تدريج بأمر قد أحكم وحيلة قد أتقنت، فلما اطلَّع الملك على ذلك أمر بالصنم فأخرج وأخذ ما وجد بالكنيسة من المال وأدَّب القَوَمَة وشرَّدهم(١) .

٧٠ - فضيحة أخرى : افترقت النصارى فرقا كثيرة(٢) وتقاطعوا وتدابروا وكَفَّر بعضهم بعضا وضللَّه ، والكل ضلال، فمنهم اليعقوبية ومنهم الملكية ومنهم النسطورية وقد تقدم ذكرهم، ومنهم الآريوسية أصحاب أريوس واعتقادهم أن المسيح مخلوق جسمه وروحه وأنه ليس بإله ولا رب غير أن له سلطانا على السماء وأنه قد قتل وصلب، واتفق النصارى بنيقية(٣) على لعنه والتبري منه وبسببه عقدوا الأمانة التي أوضحنا فسادها / وجهل من ألفها . ٢/ ٧٥/ أ

ومن النصارى فرقة تعرف باللبانية(٤) شاركت السوفسطائية في السيلان في

(١) نقل المؤلف هذه الفضيحة من كتاب أبي عبيدة الخزرجي . (مقامع هامات الصلبان ص ٢٦٩) .

(٢) قال ديورانت : كان سلس - أحد الرومانيين المهاجمين للنصرانية - قد قال ساخرا : إن المسيحيين تفرقوا شيعاً كثيرة، حتى أصبح هَمَّ كل فرد منهم أن يكوِّن لنفسه حزبا . واستطاع إيرينيوس في عام ١٨٧م أن يحصي عشرين شيعة مختلفة من المسيحيين، وأحصى إيفانيوس في عام ٣٨٤م ثمانين، وكانت الأفكار الأجنبية تتسرب إلى العقيدة المسيحية في كل نقطة من نقاطها . (ر : قصة الحضارة ١١/ ٣١٤) .

(٣) في م : بنفيه .

(٤) في م : باللياميته .

المسيح خاصة فقالت: إن الذي تراه العين من المسيح ليس هو المسيح وإنما هو خيال وإلا فالمسيح ليس يُتصور أي يرى[1]. وفي نفس دعواهم هذه مايقضي بِرَدِّها إذ يقال لهم: إذا كان المسيح لا يرى وإنما هو خيال فمن أين لكم أن الذي أثبتموه خيالا للمسيح أنه هو المسيح؟ ولعل الذي رأيتموه خيالا ليس بخيال أيضا، ولعل أحدكم [حمار أو كلب أو حيوان][2] آخر وإن كان آدميا في رأي العين وذلك قلب للحقائق.

ومن النصارى من يقول: إن مريم لم تلد إنساناً[3] وإنما ولدت جسداً وجاءت الكلمة فاتحدت به فصار بها إنسانا كاملا.

ومن النصارى من يعتقد أن المسيح مولود من الأب والروح[4]، وأن الروح قوة تحل على الصالحين كما حلَّت على يوحنا وهي التي تحل على القربان فتبارك فيه، وأنها إذاً من إرث الأنبياء أتتهم في صورة إنسان حسن الصورة/ . ٢/ ٧٥/ب

(١) القائلون من النصارى أن المسيح نزل في جسم خيالي يُسمون بالمتخيلة (DOCETISTS) وهم عدة مبتدعين منهم:
في القرن الثاني الميلادي: فالنتيوس، وسطرينس، ومركيون، وتاتيانس، وبرديسياس.
وفي القرن الثالث الميلادي: ماني.
وفي القرن الرابع الميلادي: أبو لينايوس.
وفي القرن الخامس الميلادي: أوطاخي (أفتيخوس) - رئيس دير بضواحي القسطنطينية وقد استمرت بدعته إلى القرن السادس فاعتنقها يوليانس الخيالي. (ر: موجز تاريخ المسيحية ص٣٠٨، ٣٠٩ بطس، قصة الحضارة ١١/ ٢٩٤)، ويوليانس هو الذي تنسب إليه طائفة الإليانية، وأتباعها قوم من فرقة اليعقوبية وهم بالشام و اليمن وأرمينيا.
(ر: الملل والنحل ١/ ٢٢٧ الشهرستاني، الجواب الصحيح ظ/ ٢٣، وهداية الحيارى ص ٣٣٥).

(٢) في ص، م (حمارا أو كلبا أو حيوانا) والصواب ما أثبته.

(٣) لعل خطأ قد وقع من الناسخ في هذه الكلمة، وتصحيحها كالآتي (إن مريم لم تلد إلهاً وإنما ولدت جسداً) وهذه مقالة النسطورية من فرق النصارى وقد تقدم التعريف بها. ر: ص ٤٨٦.

(٤) هذه مقالة فرقة الملكية (الكاثوليك) من النصارى، وقد تقدم التعريف بها. ر: ص ٤٨٣.

ومن النصارى فرقة تسمى القافرونية تزعم أن أورشليم ليست بيت المقدس وإنما هي قافرون بافرنجة، ويزعمون أن المسيح ترائى لهم في تلك المدينة وهم يتخذون القسيسين من النساء(١).

ومن النصارى فرقة تعرف بالمريمية يزعمون أن مريم حين ولدت المسيح لم تكن عذراء وأنها كانت ولدت قبله عدة أولاد من يوسف(٢).

(١) ظهر في منتصف القرن الثاني الميلادي في مدينة (فريجيه) بآسيا الصغرى، رجل يدعى (مونتانوس) وهو كاهن وثني متنصر، ادعى أنه نبي مسيحي، وزعم أن (فريجيه) مقر أورشليم الجديد، وأن لديه رسالة جديدة من الروح القدس، ونادى بتحريم الزواج، ووضع قوانين للصوم، ويزعم أتباعه بأن المرأتين اللتين اتبعتا مونتانيوس - وهما مكسيميلا وبريسكلا وكانتا متزوجتين فتركتا زوجيهما وتتلمذتا عليه - نبيتان له وأصبحتا عذراوين في كنيسته، وتسمى هذه الفرقة بـ المونتانية (MONTANISM). (ر: تاريخ الكنيسة ص ٢٦١ - ٢٧١ يوسابيوس القيصري، فجر المسيحية ص ١٢١ ١٢٢ ، حبيب سعيد، قصة الحضارة ١١/ ٢٩٣، ٢٩٤).

(٢) يذكر القمص زكريا إبراهيم: أن هذه الفرقة ظهرت في القرن الخامس الميلادي، وكان أصحاب هذه البدعة من الوثنيين الذين اعتنقوا المسيحية، وكانوا في وثنيتهم يعبدون الزهرة ويقولون عنها ملكة السماء، وعندما اعتنقوا المسيحية حاولوا التقريب بين ما كانوا يعبدون وبين العقيدة المسيحية، فاعتبروا (مريم) ملكة السماء أو إلهة السماء بدلا من الزهرة ولذلك أطلقوا على أنفسهم اسم (المريميين). أ. هـ (ر: الله واحد في الثالوث المقدس ص ٤١).

وقد ذكر ابن البطريق هذه الطائفة في كتابه (نظم الجوهر) ونقله عنه ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/ ٢٢ ، وابن القيم في هداية الحيارى ص ٣٢١ ، والمقريزي في خططه ٣/ ٥٢٤ ، وقد ذكرها ابن حزم باسم (البربرانية) وبأنها قد بادت (ر: الفصل في الملل والنحل ١/ ١١٠)، وقد ردَّ الله عز وجل على هذه الطائفة في قوله تعالى ﴿إذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله . .﴾ سورة المائدة: ١١٦.

ومع أن النصارى يقولون بانقراض هذه الفرقة وأن الكنيسة لا تعترف بألوهية مريم وتؤمن بأن العذراء مريم إنسانة بشرية (ر: الله واحد في الثالوث ص ٤٢) إلا أن تقديس النصارى لمريم جاء في مجمع أفسس الأول سنة ٤٣١م الذي وضع مقدمة قانون الإيمان كالآتي: (نعظمك يا أم النور الحقيقي ونمجدك أيتها العذراء المقدسة والدة الإله)، ويؤكد ه أيضا ماجاء في أوامر الكنيسة وتعاليمها بالتوجه والدعاء إلى مريم، وأن تختم الصلاة الربانية عندهم بالصلاة المريمية عشرين مرة. (ر: الإنجيل والصليب ص ١٢٥ ، ١٢٦ للمهتدي عبد الأحد دواد، المسيحية في العصور الوسطى ص٤٤ جاد المنفلوطي).

ومن النصارى فرقة تخالف سائرهم في أمرين: أحدهما تقول: إن مُلْكَ المسيح على الأرض لا غير، والآخر يقول: إن في الجنة طعاماً وشراباً لكنه لا يبقى أكثر من ألف سنة(١).

ومن النصارى فرقة لا يدخلون الكنائس إلا عراة ويحرمون النكاح(٢).

ومن النصارى فرقة يعبدون حَيَّة ويعظمونها كتعظيم المسيح(٣).

ومن النصارى فرقة يزعمون أن المسيح جاء معه بجسد من السماء وجرى من مريم مجرى الماء في الميزاب(٤).

---

(١) هذه اعتقادات طائفة (الكيرنثيون) وهم أتباع كيرنثوس (CERINTHUS) زعيم الهراطقة، وقال بها من بعده بابياس(ولعل اسم (بابياس) قد نقله الشهرستاني محرّفاً إلى (بليارس)، ثم قال بها نيبوس (NEPOS) أحد أساقفة مصر في القرن الثالث الميلادي. (ر: تاريخ الكنيسة ص ١٥٧، ١٥٨، ١٧٧، ٣٧١ يوسابيوس، موجز تاريخ المسيحية ص ١٥٢، الملل والنحل ١/ ٢٢٧ للشهرستاني).

(٢) ذكر يوسابيوس: فرقة باسم (النيقولاويين) نسبة إلى نيقولاوس أحد الشمامسة الذين أقامهم الرسل مع استفانوس لخدمة الفقراء، وأن نيقولاوس كانت له زوجة جميلة وعندما اتهمه الرسل بالغيرة والحسد بعد صعود المخلص. أخذها ووضعها في وسطهم وسمح لأي واحد أن يتزوج بها، لأنه يقال أن هذا كان يتفق مع القول المعروف عنه أن المرء يجب أن يذل جسده، أما الذين اتبعوا هرطقته وقلدوا بحماقة كل ما فعله وقاله تقليدا أعمى فإنهم يرتكبون الزنى بلا خجل أو حياء. (ر: تاريخ الكنيسة ص ١٥٩).

(٣) لا عجب في ذلك فان أسلافهم اليهود قد عبدوا الحية النحاسية التي ورد ذكرها في التوراة المحرفة سفر العدد ٢١/ ٩ أن موسى قد صنعها وأقامها على عمود في البرية لكي ينظر إليها بنو إسرائيل الذين لدغتهم الحيات فيشفون، وفي السنين التالية اتخذها اليهود صنما يعبدونها إلى أن حطمها نبيهم حزقيا كما في سفر الملوك الثاني ١٨/ ٤، وقد زعم النصارى أن تلك الحية النحاسية - المرفوعة على عامود - رمز ونبوءة على صلب المسيح، وأن تلك المقارنة قد وردت في انجيل يوحنا ٣/ ١٤، ١٥.

(٤) هذه مقالة فالنتيوس (VALENTINUS) الذي ظهر في منتصف القرن الثاني الميلادي، واشتهر في روما في عهد هيجينوس أسقف روما، وأسس شيعة تنتمي له. وقال أبيفانوس عنه: إنه ولد في مصر ودرس الآداب اليونانية في الإسكندرية (ر: تاريخ الكنيسة ص ١٩٤، ١٩٥ يوسابيوس، موجز تاريخ المسيحية ص ١٥٢، ٣٠٨). وقد ذكر مقالته تلك ابن البطريق في نظم (الجوهر) ونسبها إلى اليان (يوليانس) الذي كان في القرن السادس الميلادي، ونقل ذلك عن ابن البطريق عدد من العلماء منهم ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/ ٢٣، وابن القيم في هداية ص ٣٢٣، والمقريزي في الخطط ٣/ ٥٢٤.

ومن النصارى فرقة تعرف بالوغانية ينكرون إنجيل يوحنا التلميذ ولا يعترفون به ألبتة ويقولون: ليس المسيح إلٰها غير أنا قد أمرنا بعبادته[1].

ومن النصارى / فرقة تقول: أن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار أخذت ١/٧٦/٢
من شعلة نار لم تنقص بالأخذ[2]، وقد بقيت من النصارى فرق لو ذكرناها لأطلنا وخرجنا عن شرطنا في الاختصار وقد ذكر العلماء أن عدة فرق النصارى اثنتان وسبعون فرقة.

٧١ - فضيحة أخرى: ترك طوائف من النصارى أكل اللحم في صيامهم وحرموه، وذلك مما أحدثوه بالرأي بعد المسيح وتلاميذه، فانتحلوا مذهب المانوية أصحاب ماني[3] الزنديق.

قال الشاعر في المانوية:

تركنا اللحم للإفلاس والقلة والضيق فقالوا منويين بقول غير تحقيق

ولو مَرَّ بنا ماني أكلناه على الريق

(١) ورد أن فرقة (الوجين) التي كانت في القرن الثاني الميلادي تنكر إنجيل يوحنا وجميع تصانيفه، وقد سبق لنا في التعليق على إنجيل يوحنا ص ١١٣ ذكر بعض الذين أنكروا هذا الإنجيل. (ر: إظهار الحق ص ٩٠، ١٠٠، رحمة الله).

(٢) هذه مقالة (سابليوس) الذي كان رئيس شيعة تنسب إليه باسم (السابلية) في روما أثناء أسقفية زفيرينوس (١٩٨-٢١٧م) (ر: تاريخ الكنيسة ص ٣٤٩، قصة الحضارة ١١/ ٢٩٥). وقد ذكر مقالته تلك ابن البطريق في (نظم الجوهر) ونقلها عنه علماء المسلمين منهم: الإمام ابن تيمية في الجواب الصحيح ٣/ ٢٣، وابن القيم في هداية ص ٣٢٣، والمقيرزي في الخطط / ٥٢٤.

(٣) ماني الطشقوني: الذي ظهر في أواخر القرن الثالث الميلادي، كان فيلسوفا من بلاد فارس، حاول إيجاد ديانة توفق بين الديانات الفارسية والبوذية واليهودية والنصرانية، وادعى بأنه المسيح المنتظر وقد رحب به سابور الأول ملك الفرس في بداية الأمر، ولكن كهنة المجوس ثاروا ضده فاضطر إلى الهرب، ولما عاد تبعه جمع كثير، ولكن الملك فارانس الأول حكم عليه بالإعدام سنة ٢٧٦م، وقد انتشرت شيعته التي نسبت إليه باسم المانيكيين (MANICHEANS) في غربي آسيا وشمالي أفريقيا ونظريتها الأساسية الاعتقاد بوجود إلهين: إلٰه للخير (النور)، و إلٰه للشر (الظلمة).
(ر: تاريخ الكنيسة ٣٨٦، موجز تاريخ المسيحية ص ١٥٤-١٥٦، قصة الحضارة ١١/ ٢٩٥).

وبعد فقد أكل الأنبياء والنجباء من عباد الله اللحم واغتذوا به فلو كان لذلك أصل لكان مذكوراً في نبواتهم ومأثوراً عنهم .

٧٢ - فضيحة أخرى : جوَّز النصارى على الباري تعالى النزول والصعود والحركة والسكون وتلك أدلة حدث العالم عند المحققين[١] ، فإذا وصفوا الباري بذلك / فقد أبطلوا الدلالة على حدث العالم وذلك يمنع من إثبات الصانع ، ٢/٧٦/ب فكأنهم يحاولون إثبات الربوبية بما يستدعي نفيها و إبطالها[٢] .

٧٣ - فضيحة أخرى عظيمة : أكل النصارى لحوم الخنازير وأحلوه وذلك مما أحدثوه بعد المسيح وقد رفع الله المسيح و إن الخنزير لحرام ، فراغموا التوراة والإنجيل ، أما التوراة فقال الله فيها : (الخنزير حرام عليكم فلا تأكلوه)[٣] .

---

(١) قلت : تلك أدلة حدث العالم عند الفلاسفة ومن تابعهم من المعتزلة والأشاعرة ، وفي ذلك يقول الإمام ابن تيمية : (وأما المعتزلة والجهمية ومن تبعهم ، فطريقتهم المشهورة في إثبات حدوث العالم وإثبات الصانع هي الاستدلال : بإثبات الأعراض أولاً ، و إثبات حدوثها ثانياً ، وبيان استحالة خلو الجواهر عنها ثالثاً ، وبيان استحالة حوادث لا أول لها رابعاً ، وقد وافقهم عليها أكثر الأشعرية وغيرهم ، وهذه هي التي ذمها الأشعري وبيَّن أنها ليست طريقة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولا من اتبعهم) ا . هـ .

(ر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٣٨-٤١ ، ٧/ ٢٢٣-٢٣٢ لابن تيمية ، رسالة إلى أهل الثغر ، ص ١٧٨-١٨٧ لأبي الحسن الأشعري ، وللتوسع في الرد على تلك الأدلة : مجموع الفتاوى ٦/ ٤٩ ، ٥٠ ، ٢٤٧-٣٠٢ لابن تيمية) .

والفرق ظاهر بين إثبات النصارى لتلك الصفات وبين إثبات المسلمين ، فإثبات النصارى إثبات تجسيم لإلههم المجسم المُحدث وهو المسيح بزعمهم ، وهو الضلال بعينه . أما إثبات المسلمين لصفات الله عز وجل فمبني على الوحي والنقل الصحيح من غير تشبيه أو تمثيل أو تكييف أو تعطيل ، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، ولا يحيطون به علما ، وقد تقدم بيان مذهب أهل السنة والجماعة في ذلك ، ر: ص ٩٠ ، ٩١ .

(٢) ليست في (م) .

(٣) لاويين ١١/ ٧ ، ٨ .

وهـذا نص لايحتمل التأويل، وأمـا الإنجيل فقد حكـى مرقس في إنجيلـه (إن المسيح أتلف الخنزير وغرق منهم في البحر قطيعاً كبيرا)(١) وقال لتلاميذه: (لا تعطوا القـدس الكلاب ولا تلقوا جـواهركم قُدَّام الخنـازير)(٢) فقرنها بـالكلاب فمن أحل الخنـزير فقـد كفر بمـوسى والمسيح، فإن قـالوا: إن بطـرس رأى في النوم صحيفة نزلـت من السماء فيها صور الحيوانات وصور الخنزيـر وقيل له: يا بطرس كل منها ما أحببت)(٣).

قلنا لهم: الشرايع والأحكـام لا تنسخ بالمنام والأحلام ونحن نحـاشي بطرس أن يخالف التوراة والإنجيل / بمنام رآه، والتـوريك على من نقل ذلك عنه أولى ٢/٧٧/أ من رفع القواعد الثابتة بالرؤيا والأحلام.

٧٤ - فضيحة أخرى: اعترض النصارى على قـوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجـالا نوحي إليهم فـاسألوا أهل الـذكر**﴾(٤)، قالـوا: إنما عنى بأهل الذكر حملة التوراة والكتب العتيقة، وقد قال أهل الذكر: إن الله قد بعث أنبياء من النساء منهن مريم أخت موسى وخلدي ورفقا وأستار.

فافتضح النصـارى لما حققوا جريان الآية على سبب وهـو أن مشركي العرب أَنِفَتْ أن يأتيها بـرسالة الله رجل منهـا، ووَدَّت أن لو كان الرسـول إليهم مَلَكاً من ملائكـة السماء، فقالـوا ما أخبر اللـه به في كتـابه ﴿**وقالـوا لولا أنـزل عليه ملك**﴾ فقال الله: ﴿**ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر**﴾(٥).

---

(١) مرقس ٥/ ١-١٤، متى ٨/ ٢٨-٣٢، لوقا ٨/ ٢٦-٣٣.

(٢) متى ٧/ ٦.

(٣) أعمال الرسل ١٠/ ١٠-١٦.

(٤) سورة النحل: ٤٣.

(٥) قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا ينظرون﴾ الأنعام: ٨.

ثم قال سبحانه ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالا**﴾ ولم نرسل الملائكة بل لم نبعث إلى البشر إلا من جنسهم فقل لمن تَعَنَّد: فليسأل أهل الكتاب هل بعث
٧٧/٢ب الله قط الرسل إلى الناس / إلا من جنسهم فإنهم سيخبرونهم بصحة ذلك، والنزاع لم يكن بين النبي عليه السلام وبين العرب في إرسال النساء أو الرجال بل في إرسال الملائكة والآدميين[١].

هذا إن سلمنا لهم ما ادَّعوه من نبوة هؤلاء النسوة، ونحن لم نصدقهم فيما لم تقم عليه حجة ولا دَلَّ عليه دليل ولم نتجاوز بهم القدر اللائق بهم والمشهود به على لسان أرميا وأشعيا عليهم السلام من لعنهم وخزيهم ومقتهم ولنا في ذلك أسوة حسنة بمن تقدمنا من أنبياء الله، فقد قال أشعيا فيهم: (عرف الثور من اقتناه، والحمار مربط ربه، ولم يعرف ذلك بنو إسرائيل)[٢] ومن لا يعرف ربه فالأولى أن لا يعرف نبيه، ومن جهل المرسل جهل الرسول لا محالة، ومن غلط فأخرج من ديوان النبوة مثل نوح وإبراهيم وإسرائيل فغير عجيب منه إثباتها للنسوة المجاهيل.

---

(١) قال الضحاك عن ابن عباس: لما بعث الله محمداً رسولاً أنكرت العرب ذلك، أو من أنكر منهم، وقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد، قال: فأنزل الله ﴿**أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم**﴾ وقال: ﴿**وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر**﴾ فأسألوا أهل الذكر: يعني أهل الكتب الماضية، أبشراً كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة؟ فإن كانوا ملائكة أنكرتم، وإن كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا. أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره ١٤/ ١٠٩.

(ر: تفسير البغوي والخازن ٤/ ٧٦، أسباب نزول القرآن ص ٢٨٥ لأبي الحسن الواحدي، تفسير القرطبي ١٠/ ١٠٧، تفسير ابن كثير ٢/ ٥٩١، الجواب الصحيح ١/ ٣٣٧، ٣٣٨ لابن تيمية).

(٢) سفر أشعيا ١/ ٣.

٧٥ - فضيحة أخرى: تـرك طوائف من[١] النصارى النكاح المبـاح ورفضوا النسـاء ولـم يروا بالتناسل وإبراز الذرية الصالحة إلى الوجود/ وهذا شيء لو ٢/٧٨/أ مالأهم الناس عليه لانقطع التناسل وانقرض جنس الآدميين، وهذا -فاعلم- مما أحدثوه بعد المسيح وكأنهم [نَحَوْ] فيه نَحْوَ المتفلسفين من الطبائعيين فإن تمسكوا بقولـه في الإنجيل (من تـرك زوجة من أجلي فإنـه يعطي للـواحد مـائة ضعف ويـرث الحياة الـدائمة)[٢] قلنا: في الفصل كـلام أسقطتموه وهو قـوله (من تـرك بنين وبنـات أو حقـولا فإنـه يعطى)[٣] وذلك ممـا لا نصححه عن المسيح إذ لا يجوز إجراء هذا الكلام على ظاهره، فإن الفرار عن الأولاد والأطفال وتركهم بـلا كافل يكفلهم ومنفق ينفق عليهم ممـا لا يجوز، ومن نسب المسيح إلى الجهل بذلك فقد كفر بالمسيح.

ثم ذلك على تقـدير صحتـه معـارض بنصين عن المسيح أحـدهما: قولـه في جواب الزنـادقة الذين جـاؤا متعنتين له (إن الذي زَوَّجه اللـه لا يقدر أحد على تفريقه)[٤].

---

(١) من المعلوم عن النصـارى أن الرهبان والقسـاوسة ورجال الدين في الكنيـسة حرموا النكـاح المباح على أنفسـهم وادعوا التبتل وهـم بذلك قد انحرفوا عن الفطـرة الانسانية مما نتج عنه انحراف أعظم وأخطر حيث انغمس الكثير منهم في الملـذات والشهوات المحرمة واتخذوا العشيقـات والسراري، وخاصـة البـابوات منهم مـثل البـابا اسكندر السـادس، وتحـولت الأديـرة والكنائس من دور عـبـادة وطهـر إلى مواخير دعارة ونجاسة - والعياذ بالله- وكتب مؤرخيهم تشهد بذلك. (ر: كتاب تاريخ الإصلاح في القـرن السـادس عشر لمؤلفـه ميرل دوبينيـاه طبع بيروت سنـة ١٨٧٨م، وقصـة الحضـارة ١٢/ ١٢٩-١٣١، ١٨/ ٨٤-٨٦ في البـاب العشرين من الانحـلال الخلقي، كتاب (الـديـارات) للشابشتي). وهناك طـوائف أخرى من النصارى دعت إلى العزوبة وتـرك النكاح منهم: المارسينيون أتبـاع مـرسيون الـذي ظهـر في عـام ١٤٠م، والمانـويه أتبـاع مـاني، والانكـراتيـون أتباع تـاتيـان، والساويرسيون أتباع ساويروس.

(ر: تاريخ الكنيـسة ص ٢٢٧، ٢٢٨، قصة الحضارة ١١/ ٢٩٢-٢٩٥).

(٢)، (٣) متى ١٩/ ٢٩، مرقس ١٠/ ٢٩.

(٤) متى ١٩/ ٣-٦، مرقص ١٠/ ٢٩.

والآخر: قوله عليه السلام: (إن من طلق زوجته باطلاً فقد عرضها للزنا ومن تزوج بمطلقة فقد زنا بها)[1]. / ثم النكاح والتناسل سنّة الأنبياء ٢/٧٨/ب
وخواص الأولياء ودأب النجباء والأقوياء. وقد امتن الله على إبراهيم وإسرائيل وزكريا ومريم وغيرهم بنعمة الأولاد كما هو مزبور مذكور في كتبهم، ومن رغب عن سنة الأنبياء التحق بالأغبياء[2]، وقد قال فولس في الرسالة الثانية عشرة: (إن القسيس محقوق أن يكون غير ملزم فإنه وكيل الله غير حقود، ولا يستبد برأيه ولا [مجاوزاً][3] للمقصد[4] في الخمر، ولا يسرع بيده إلى الضرب، وأن يكون محباً للغرباء والأعمال الصالحات، وأن يكون عفيفا باراً ضابطاً لنفسه عن الشهوات، عنيا بالعلم والتعليم، ويكون له زوجة واحدة وبنون صالحون)[5].

فمن رفض النكاح ومنع منه فقد خالف من ذكرنا من الأعلام والقدوة.

٧٦ - فضيحة أخرى: مع غلبة الجهل على النصارى فهم أشد الناس دعاوى وأوسعهم تخرصا على الله يزعمون أن فيهم اليوم من يمشي على الماء ويحيي الموتى ويفعل العجائب/، ويدَّعون أن بفارس بيعة لهم كانت على قنة ٢/٧٩/أ
جبل ولها مرتقى صعب وأن واحداً منهم دعا إلٰهه الذي صلبته اليهود فحطها له من أعلى الجبل حتى جعلها على وجه الأرض.

---

(١) متى ١٩/ ٩، مرقس ١٠/ ١١، لوقا ١٦/ ١٨.

(٢) في م: (التحقق بالأغنياء).

(٣) في ص، م (مجاورا) والصواب ما أثبته.

(٤) في م: القصد.

(٥) رسالته إلى نيطس ١/ ٦-٩.

ويزعمون أن كنيسة بالسوس كانت بأعلى تل ولها بئر في أسفله، وأن القَيِّم بالكنيسة كبر وعجز عن النزول فدعا ربه المصلوب وتوسل إليه وأقسم عليه بالخشبة التي صلب عليها فرفع البئر إليه، فيدعي ذلك اليعقوبي على النسطوري، والنسطوري على الملكي[1].

(١) يقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: قد قال بعض الحكماء: ها هنا ديانات ومقالات تعرف كذب أهلها بأدنى تأمل، منها: النصرانية فإنهم يَدَّعون الآيات لكبرائهم وأنها لا تنقطع في زمان من الأزمنة، وأن الذين أجابوا إلى النصرانية إنما أجابوا بالمعجزات.

* ثم يقول القاضي - ومن أكبر كيد رؤساء النصارى ادعاء المعجزات لأنفسهم ولأمثالهم ممن سلف من رؤسائهم، والنصارى تقبل ذلك منهم بغير برهان ولا حجة، فإذا مات ذلك الرئيس من راهب أو قس، قعد راهب وقال: أنا كنت أخدمه فرأيت منه العجائب، فترهوا عليه معشر النصارى وتوسلوا إلى الله به فإنه شاهد فاشهدوا قبره وأكثروا زيارته. فيقول النصارى: يا رباني حدثنا بما رأيت منه فيمتنع ويقول: اعفوني من الشرح، وكلما تمنَّع لَجُّوا في مطالبته، فيقول: قد كان انقطع بنا الزيت في البيعة، وكان لا يطلب الزيت من أحد ولا يدعني أطلبه فإذا كان الليل أشعل القنديل وقام إلى جرة فيها خل فيصبه في القنديل فيصير من ساعته زيتا، فيصطبح به كذا وكذا شهرا، - ثم يذكر القاضي أمثلة أخرى من تلك المعجزات التي يدعيها النصارى لرهبانهم ورؤوسائهم مثل إحياء الموتى وفعل الخوارق. ثم يقول: - فيصدق النصارى الرهبان فيما يدعونه ويكتبونه عنهم. ويجعلون له عيدا وذكرانا فيقولون: هذا ذكران جورجس وهذا ذكران مرقس وهكذا، وهذا أصله ومخرجه وأوله، فإذا تَخلَّد وانبث ومرت عليه الدهور وأتت عليه الأعصار، ادعوا أنه شيء كان أصله بمشاهدة الأمم، لأن الكذب فيما تقادم عهده أمكن، وإنما يجعلون له ذكراناً وعيدا ويوما بعينه لتتم الحيلة فيه، وليظن من يسمع أنه ما جعل له عيد ويوم معلوم وتاريخ محدود مؤقت إلا وهو حق وله أصل ليتأكد الكذب ويتم التمويه، وليتصل البر والصدقات على الرهبان في هذه الأعياد، والفطناء من النصارى يقولون: هذه الآيات والمعجزات إنما هي من احتيالات الجثالقة والرهبان ومن يبغض العمل ويفر من الكَدِّ، ويسمونهم بلغتهم السريانية (عازق معناثا) معناه أنه ترهب ولزم الدين ليأكل من غير ماله ويستريح من الكد. أ.هـ، (ر: تثبيت دلائل النبوة ١/ ١٧٥، ٢٠٢-٢٠٩ بتصرف).

٧٧ - فضيحة أخرى: النصارى أنزل الناس لما في كتبهم ولما نص عليه المسيح من التواضع واللطف والإيثار وذلك أن القتال لم يكن من سنة المسيح ولا من طريق تلاميذه الذين صحبوه ، بل كان مذهبهم الذي جاء به المسيح الاستسلام إذا عجزوا والعفو إذا قدروا، وهم الذين رووا عنه في الإنجيل (من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر، ومن نازعك ثوبك فزده رداءك ، ومن سَخَّرك مِيلاً فامض معه/ اثنين)[1] وهم الذين حكوا عنه في الإنجيل ٧٩/١/ب (أحبوا مبغضيكم، وصلوا على لاعنيكم، وأعطوا من حرمكم، وصلوا من قطعكم، وأحسنوا إلى من أساء إليكم)[2].

وقالت أوائلهم: لو أراد المسيح نصب الحروب لم يستسلم فنحن لا نخالف سيدنا المسيح.

وقد قال المسيح: (طوبى للذين يرحمون وأن الرحمة تكون لهم، طوبى للذين يصلحون بين الناس، أولئك أصفياء الله ونور بني آدم)[3].

فهم مع كونهم يروون ذلك عن المسيح أنزل الناس له وأبعدهم منه، وقد قال فولس في الرسالة الحادية عشرة (اهرب من جميع الشهوات، وَاسْعَ للرب وللإيمان والود والسلم، وتنكب المنازعات فإنها تولد القتال ، وليس يحل لعبد

---

(١) متى ٥/ ٣٩، لوقا ٦/ ٢٩ .

(٢) متى ٥/ ٤٤، ٦/ ٢٧، ٢٨ .

(٣) متى ٥/ ٧ - ١٠ .

من عبيد الله أن يقاتل)[1]، فأمر فولس بترك ما يؤدي إلى القتال سدا للذريعة، فكيف خالفه النصارى وشرعوا الحروب وسفكوا الدماء الحرام؟[2].

٧٨ - فضيحة أخرى: أخصت الحبشة من النصارى أولادهم وكذلك بعض الروم/ ، والخصي أشد المثلة وأفظع الذنوب، ثم هم يفعلون ذلك ٢/٨٠أ
بأطفال لادفاع عندهم، وتلك قسوة عظيمة وغلظة جسيمة، وقد قال المسيح عليه السلام (طوبى للرحماء)[3] ثم هم يخصونهم ويبيعونهم فيأكلون أثمانهم وهذه مَعَرَّة لو وافقتهم عليها الناس لذهب بنو آدم ومُحي جنس البشر ، ثم هم يتصرفون في وجوههم ولحاهم بالحلق والنتف والكشط فيصيرون مع عوج ألسنتهم أسمج شيء خلق الله، وهذه كتب الأنبياء لم تأمر بشيء من هذا الجنس[4].

٧٩ - فضيحة أخرى: ليس بين النصارى شيء من الأحكام والفرائض والسنن المحتاج إليها في المعاملات والمناكحات، والأناجيل التي بأيديهم ليس فيها سوى مواعظ ووصايا قد خلطت بكفر صريح وأكاذيب كثيرة لم يصدقهم عليها أحد من الأمم، وأكثر ما يفزعون إلى أحكام المسلمين لخلو أكابرهم عن معرفة الحلال والحرام، وأي شيء استحسنوه بعقولهم شَرَّعُوه وحكموا به فمن نازعهم من / أهل ملتهم أحرموه ومنعوه من دخول الكنائس فيحكمون فيهم ٢/٨٠ب

(١) رسالته إلى تيموثاوس ٢/ ٢٢ - ٢٤ .

(٢) وردت في الأناجيل ثلاثة نصوص تشير إلى القتال وهي:
أحدها في إنجيل متى ١٠/ ٣٤ كالآتي (لاتظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، ما جئت لألقي سلاما بل سيفا، فإني جئت لأفرق الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكِنة ضد حماتها) ثم تكرر هذا النص في إنجيل لوقا ١٢/ ٤٩ - ٥١ . والنص الثالث ورد أيضا في لوقا ١٩/ ٢٧ كالآتي (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدّامي)، ومع ذلك فإن النصوص الأخرى الكثيرة في الأناجيل - وقد ذكر المؤلف بعضها - تطغى على هذه النصوص، وتدعو إلى التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة والمغالاة في المثالية.

(٣) متى ٥/ ٧ .

(٤) بل قد ورد النهي عن الخصي في سفر التثنية ٢٣/ ١ كالآتي: (لايدخل مخصي بالرّض أو مجبوب في جماعة الرب).

بأحكام ما أنـزل الله بها من سلطان[1]، قال أبـو الطاهر بن عـوف رحمه الله: وليس يشتمل ديوان فقـه النصارى على أكثر مـن خمسمائة مسألة ونيف وليست مأخوذة عن المسيح.

٨٠ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن يـوحنا أحد مُدَوِّني الإنجيل جلس بأفسس[2] بلـدة من بلاد الـروم يكتب إنجيله فـوقع مطر محى بعض مـا كتب فغضب يـوحنـا ورفع وجهـه إلى السماء وقـال: أمـا تـستحي أن تمحـو اسم ابن إلٰـهك، قالت النصارى: فلم تمطر تلك القرية من بين سائر البلاد[3].

فليت شعـري ما طـريق تصحيح هـذه الدعـوى، وهل البلـدة اليوم تمطـر أم لا؟ وان كانت قـد محلت فهل كان ذلك بسبب غضب يـوحنا على ربـه وتخطئته

---

(١) لا عجب إن كانت النصرانية المحرفـة من أفقر الديانات تشريعاً وأحكـاماً فإن المسيح عليه السلام لم يأتِ بشريعة جديدة، وإنما كـان متبعا لشريعة بني إسرائيل، وقد كانت دعوتـه لإصلاح وهداية بني إسرائيل الـذيـن ضلـوا ولتخفيف بعض الأحكـام عليهم، قـال تعـالى حكـايـة عـن عيـسى عليـه السلام: قال ﴿**ومصدقا لما بين يديّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقـوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبـدوه هذا صراط مـستقيم**﴾ سورة آل عمران: ٥٠، ٥١، وقال المسيح في إنجيل متى ١٧/٥ (لا تظنـوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبيـاء ما جئت لأنقض بل لأكمل) لذلك كانت الأحكام الواردة في الأناجيل محصورة في أمور محددة في الخطبة التي ألقاهـا المسيح على الجبل وعرفت بخطبة أو وصية الجبل (ر: الإصحـاحات ٥، ٦، ٧، من إنجيل متى) ـ وإن كنـا لا نسلم بصحة نسبـة جميع ما ورد في الخطبـة إلى المسيح ـ وعنـدما حـرّف النصارى دعوة المسيح عليـه السلام فإنهم ابتدعوا عقـائد جديدة وعبادات وطقـوسا كنسية خالفـوا بها شريعة التوراة وتحكموا فيها من خلال المجامع التي يعقـدها قساوستهم فيحلون ويحرمون ويشرعون بما شاؤا مصداقا لقول الله تعالى فيهم ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله**..﴾ سورة التوبة: ٣١.

(٢) أفسس: كلمة يونانيـة معناها (المرغوبة)، وهي مدينة قديمـة في آسيا الصغرى على بحر إيجة بتركيا، وبحسب الروايات النصرانية فإن يـوحنا قام فيها في السنوات الأخيرة في حياتـه، كما وجه إليها بولس إحـدى رسائلـه، وعقد فيهـا المجمع المـسكـوني الثالث عـام ٤٣١م. (ر: قامـوس ص ٩٢، ٩٣، المنجد في الأعلام ص ٥٤).

(٣) لقد زرت مـدينة أفسس في شتاء عام ١٤٠٧هـ الموافق ١٩٨٧م، وكان المطر يهطل فيهـا بغزارة، وقد وقفت أيضاً في هذه المدينة على قبر يزعمون أن الحواري يوحنا قد دفن فيه.

لخالقه أم لا؟ وبعد فلعل في بلاد الله بلاداً وبقاعاً كثيرة لا تمطر وأخرى لا تخلومن المطر.

وقد حكى النصارى أن بين هذه [القرية][1] وبين القسطنطينية نحواً من ألف فرسخ، وهذا دأبهم فيما يستشهدون به على / أباطيلهم فإنهم يبعدون ٢/٨١/أ شاهدهم غاية البعد ليعسر على الممتحن مراجعته، وليت شعري هل كان يعدو أمر ذلك المطر إما أن يكون الله هو الذي ساقه أو مَلَكٌ من قِبَل الله أو سحابة سخرها الله، فإن كان إنما انتهر الغيم والسحاب فهذا سخيف العقل إذ وَبَّخ من لا يعقل ولا يفهم ولا ذنب له، وإن كان إنما وبخ الملك المتولي سوقها فهو جاهل إذ الملك إنما يصدر عن أمر الله تعالى، وإن كان إنما خاطب الله فقد زعم أن لله إلٰهاً فوقه.

وبالجملة ففي إنجيل يوحنا هذا أمور انفرد بها عن أصحابه ولم يوافقوه عليها، والنصارى يكاتمونا[2] اختلافهم ولا يبوحون به لنا لأنه اختلاف في الاله نفسه وليس هو في الفروع فيغتفر.

٨١ - فضيحة أخرى: قال النصارى: إن المسيح لم يتكلم في المهد ولم ينطق ببراءة أمه مريم صغيراً بل أقام ثلاثين سنة واليهود تقذف أمه بيوسف النجار وتحكم بأنه ولد زنا، فلزم على سياق قولهم أنه لم تلقَ أُمٌ بسبب ولدها من الشر ما لقيت مريم من المسيح لأنه فضحها وهتك سترها ودعا / إلى رميها[3] بالزنا ولم ٢/٨١/ب يدفع عنها بحجة تقطع شغب اليهود وهو قادر على ذلك، ثم إنه كَلَّفها عبادته فأوجب عليها الصوم والصلاة وألزمها ترك الشهوات ومخالفة الهوى فهي ملتزمة

(١) في م، ص: الفرقة، والتصويب من المحقق.

(٢) في م: يكاتمون.

(٣) في م: خرمها.

لـذلك إما خـوفاً من عقـابه أو رجـاءً لثـوابه ، ثم قضى عليهـا الموت وجَرَّعهـا غصصه[1] وسلط على جسـدها البلى ، وهـذا شيء لم يُعـرف في بِرِّ الأولاد ومـا سمعنا بعـاق بلغ هذا المبلغ من أمـه ، فبمقتضى قولهم إنه كـان مشؤومـا عليها واللـه تعالى يقـول في حقه ﴿وجعلنـي مباركـا أينما كنت﴾ ـ إلى قـولـه ـ ﴿وبـراً بوالدتي﴾[2] .

٨٢ - فضيحـة أخرى : ربما عَـرَّض بعض النصارى بـردة ابن أبي السرح[3] عن الإسـلام وقـال : كيف يكون نبيـاً يـوحى إليـه ولا يعلم بحال مـن يرشحـه ويختـاره لكتابـة الوحي ، فيقـال له : يـا أخرق ، النبي لا يعلم من المغيبـات إلا القدر الـذي أعلمه الله به وكـونه لا يعلم بفساد نية من يصحبـه لا يقدح ذلك في نبـوته ، فـإن أبيت إلا القول بـذلك فـارغب بنفـسك عن اتِّبـاع المسيح فإنك
٢/ ١/٨٢ رويت وروى أصحـابك وأهل دينك أن المسيـح / اختـار رجـلا من تـلاميـذه الاثنى عشر الذين شهـد لهم بإدانة بني إسرائيل يوم القيامـة وَوَلاَّه صندوق مال الصـدقـات وقـدمـه على غيـره من أصحـابه ورشـحـه لأمانتـه وهو يهـوذا

---

(١) في م : غصه .

(٢) قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : **﴿وجعلني مباركا أين ما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا﴾** سورة مريم : ٣١ ، ٣٢ .

(٣) هو عبدالله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري رضي الله عنه ، أسلم قبل الفتح ، وكان من كُتَّاب الوحي ، ثم ارتد فأهدر النبي ﷺ دمه يوم الفتح ، فاستجار له عثمان بن عفان - أخوه من الرضاعة - فعاد مسلما ، وكان صاحب الميمنة في الحرب مع عمروبن العاص في فتح مصر ، ثم ولي مصر في عهد عثمان رضي الله عنه ، ولما وقعت الفتنة سكن عسقلان ولم يبايع علياً ولا معاوية ، ومات سنة ٥٩هـ في آخر عهد معاوية ، وقال الذهبي : الأصح وفاته في خلافة علي رضي الله عنهم جميعاً .
(ر : ترجمته في الإصابة ٤/ ٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣-٣٥) .

الأسخريوطي ـ كفر وفجر وواطأ اليهود على المسيح وارتشى منهم على المسيح ثلاثين درهما وزاد على ابن أبي السرح بأن قتل نفسه كافراً، فأما ابن أبي السرح فإنه راجع الاسلام ومات مؤمنا(١).

فإذاً كُفْر من كَفَر من أتباع النبي لا يقدح في نبوته بدليل أن اليهود كفروا بعد موسى وفي حياته عبدوا العجل، ولم يقدح ذلك في نبوة موسى وصحة رسالته.

٨٣ - فضيحة أخرى: عاب النصارى قول ربنا ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾(٢) ونظائرها في إثبات الخير والشر من الله تعالى(٣)، وقالوا: لا يفعل

---

(١) حديث إسلام عبدالله بن سعد بن أبي السرح بعدردته رواه ابن إسحاق معلقا (ر: السيرة لابن هشام ٤/ ٧٣)، وأخرجه وأبو داود ٣/ ١٣٣، ١٣٤، والنسائي في كتاب الحدود (ر: صحيح النسائي للألباني ٣/ ٨٥٢)، والحاكم ٣/ ٤٥، وأبو يعلى في مسنده ١/ ٢١٦ كلهم من طريق أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر قال: زعم السدي عن مصعب بن سعد عن سعد قال: . . فذكره في سياق طويل.

قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

قال الشيخ الألباني: إلا أن أسباط بن نصر وأحمد بن المفضل قد تكلم فيهما بعض الأئمة من جهة حفظهما، لكن الحديث له شاهد يتقوى به يرويه نافع أبو غالب عن أنس رضي الله عنه، أخرجه أبو داود (ح٣١٩٤) وأحمد ٣/ ١٥١ بسند حسن، فالحديث بهذا الشاهد صحيح إن شاء الله تعالى. اهـ. (ر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ٣٠٠ ح ١٧٢٣).

(٢) سورة السجدة: ١٣، وكقوله تعالى: ﴿قل كل من عند الله . . .﴾ سورة النساء: ٧٨، وغيرها من الآيات في سورة الأنعام: ٣٩، ١٢٥، والإنسان: ٣٠، والتكوير: ٢٩.

(٣) دلت النصوص الشرعية على نفي نسبة الشر إلى الله تعالى، وأنه لا ينسب إليه عز وجل إلا الخير، فقال تعالى: **﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾** آل عمران: ٢٦.

وقالﷺ - في ثنائه على ربه في دعاء الاستفتاح - (لبيك وسعديك والخير في يديك، والشر ليس إليك، تباركت وتعاليت) أخرجه مسلم ١/ ٥٣٤، وهذا يدل على أن الشر لا يضاف إلى الله تعالى لا وصفا ولا فعلا ولا يتسمَّى باسمه بوجه من الوجوه، بل يدخل في مفعولاته ومخلوقاته، والله سبحانه لا يوصف بشيء من مخلوقاته ومفعولاته، وإنما يوصف بفعله وخلقه ولا يجيء في كلام الله تعالى إضافة الشر وحده إلى الله، بل لا يذكر الشر إلا على أحد وجوه ثلاثة:

==

الله سوى الخير المحض ، فأما الشر فهو من الشيطان لا من الله ، فالتزموا مذهب الثنوية[1] القائلين بأن الخير من النور وأن الشر من الظلمة ، فلزمهم أن

١- إما أن يدخل في عموم مخلوقاته ومفعولاته ، فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق ، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم كقوله تعالى : ﴿**الله خالق كل شيء**﴾ سورة الزمر: ٦٢ ، وقوله تعالى : ﴿**والله على كل شيء قدير**﴾ سورة البقرة: ٢٨٤ .

٢- وإما أن يحذف فاعل الشر كقوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن ﴿**وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً**﴾ سورة الجن: ١٠ .

٣- وإما أن يسند إلى محله القائم به كقول إبراهيم الخليل عليه السلام ﴿**الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويسقين واذا مرضت فهو يشفين**﴾ سورة الشعراء: ٧٨-٨٠ .

فلم يسند الخليل عليه السلام الأمراض إلى الله تعالى بل أسند المرض إلى نفسه التي هي محل المرض . وانما كان الشر شرا لانقطاع نسبته إلى الله تعالى ، لأنه إن أريد بالشر وضع الشيء في غير موضعه فهو الظلم والله منزه عنه ، وإن أريد بالشر الأذى اللاحق بالمحل بسبب ذنب ارتكبه فإيجاد الله العقوبة على ذنب لا يعد ذلك شرا بالنسبة له بل ذلك عدل منه تعالى ، وإن أريد بالشر عدم الخير وأسبابه الموصلة إليه فالعدم ليس فعلا حتى ينسب إلى الله ، وليس للعبد على الله أن يوفقه ، فهذا فضله يؤتيه من يشاء ، ومنع الفضل ليس بظلم ولا شر.

يقول الإمام ابن القيم : وأسماء الله الحسنى مثل القدوس والسلام تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء ، فهو الخالق للعباد وأفعالهم ، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء ، والرب -تعالى- هو الذي جعله فاعلاً لذلك ، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب ، فَجَعْلُه العبدَ فاعلاً خيرٌ وحسنٌ ، والمفعول شر وقبيح ، فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها فهو خير وحكمة ومصلحة ، وإن كان وقوعه من العبد عيبا ونقصا وشرا . اهـ . (ر: مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ٣٣٦ ، ٣٣٧ لابن تيمية ، شفاء العليل ص ٣٥٩-٣٦٣ ، ٤٣٦ ، ٥٢٧-٥٣١ لابن القيم ، شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٨٣-٢٨٦ لابن أبي العز الحنفي ، لوامع الأنوار ١/ ٣٤١-٣٤٣ للسفاريني ، الحكمة والتعليل ص ١٩٩-٢٠٤ د. محمد المدخلي) .

(١) الثنوية : هم طائفة من المجوس الذين أثبتوا أصلين اثنين ، مدبرين قديمين ، يقتسمان الخير والشر ، والنفع والضر ، يسمون أحدهما (النور) وبالفارسية (يزدان) ، والثاني (الظلمة) وبالفارسية أهرمن ، ويزعمون أن النور والظلمة أزليان قديمان بخلاف المجوس الأصليين القائلين بحدوث الظلام . (ر: الفهرست ص ٤٤٢-٤٧٤ لابن النديم ، الملل والنحل ١/ ١٣٢-٢٤٤) .

يكون مراد الله أقل وقوعا وأن إرادة الشيطان أنفذ من إرادة الباري/ ، وكذلك ٢/٨٢/ب
يلزمهم من عزو الشرور إلى النفوس ممن ينكر وجود الشياطين من اليهود وغيرهم - أن يكون سلطان النفوس أنفذ من سلطان الله .

ولو عقل النصارى واليهود لعرفوا في كتبهم ما أنكروا علينا إذ هو مسطور في صحفهم ولكن لا يهتدون إليه سبيلا ، قال الله تعالى في التوراة لموسى : (امض إلى فرعون وقل له : أرسل شعبي يعبدني وأنا أقسي قلب فرعون فلا يرسلهم)(١) ثم قالت التوراة عقيب كل آية صنعها موسى بحضرة فرعون - (وقسى الله قلب فرعون فلم يؤمن كما قال الرب)(٢) وهذا تصريح من الله لا جمجمة(٣) بأنه سبحانه هو الذي يقذف في قلبه القسوة والكفر وهذا بعينه هو قول المسلمين أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، ولأنه تعالى لو أراد هداية فرعون لشرح صدره للإيمان ولم يقس قلبه كما قال تعالى : ﴿**فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا**﴾(٤) .

ولما أخرج الصاع من رَحْلِ بنيامين جزع إخوته / وقالوا : من عند الله نزلت ٢/٨٣/أ
هذه الخطيئة ، كما نطقت به التوراة(٥) ، وهذا دليل على أنهم كانوا يعتقدون صدور الخير والشر من الله تعالى وهذا الجنس في التوراة كثير، وقال (٦) بلعام بن فعور ــ لما قال له الملك : العن لنا بني إسرائيل . فقال : إني لا أستطيع أن أفعل خيراً ولا شراً من قبل نفسي وإنما أقول ماأمرني به الرب ، ذكرت التوراة(٧) ذلك .

---

(١) خروج ٩/ ١ ، ١٢ .

(٢) خروج ٩/ ١٢ ، ١٠/ ١ ، ٢٠ .

(٣) في م : لا حمه . والجَمْجَمَة : أن لا يبين كلامه وإخفاء الشيء في الصدر. (ر: القاموس ١٤٠٨) .

(٤) سورة الأنعام : ١٢٥ .

(٥) تكوين ٤٤/ ١٥ ، ١٦ ، ٤٥/ ٥ ، ٧-٨ .

(٦) في م : (وقال بلعام . . . إلى . . . ذكرت التوراة ذلك) ساقطة .

(٧) عدد ٢٢/ ٣٨ ، ٢٤/ ١٣ .

وقد قال المسيح في الإنجيل (إني لم آت لأعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلني)(١) وهذا نظير قوله تعالى ﴿وما تشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾(٢).

وقالت التوراة في عدة مواضع (وقَسَّى الله قلب فرعون فلم يرسل بني إسرائيل)(٣) وذلك نظير قوله ﴿**وإذ يُريكُمُوهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولا**﴾(٤) وضرب المسيح مثلاً في الإنجيل (فقال: إنّ ملكاً عمل وليمة ودعا إليها أهل مملكته وأمر ألا يتخلف عنها أحد فلما جلس فلم ير إلا بعض القوم فقال: المدعوون كثير والحاضرون قليل)(٥) فبيَّن عليه السلام عموم الدعوة وخصوص الهداية وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾(٦)

٢/٨٣/ب فبيّن الله تعالى أن دعاء الأنبياء عموم / وهداية الله خصوص، فلا ينكر قول الإسلام أن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فلم ترد شريعة ولم ينزل كتاب إلا وهو متضمن ذلك، وبذلك يتحقق أن أصول الشرائع ومقاصدها واحد وإن اختلفت الأحكام التكليفية لاختلاف مصالح المكلفين(٧).

---

(١) يوحنا ٦/ ٣٨.

(٢) سورة التكوير: ٢٩.

(٣) خروج ١٠/ ٢٠.

(٤) سورة الأنفال: ٤٤.

(٥) متى ٢٢/ ١ - ١٤ في سياق طويل.

(٦) سورة يونس: ٢٥.

(٧) قال ابن القيّم: قد اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم وكتبه المنزلة عليهم أنه سبحانه يضل من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والإضلال فعل العبد وكسبه. ومراتب الهدى أربعة:

==

٨٤ - فضيحة أخرى: لازمة للنصارى واليهود وهي ما اشتملت عليه كتبهم من الاختلاف والتكاذب وقد ذكرنا فيما تقدم نُبذاً من ذلك ليستدل بها من وقف عليها على قلة ضبطهم لدينهم ولنذكر ها هنا ما وقع في التوراة من التكاذب، فمن ذلك ما وقع في تاريخ عمر آدم وأعمار مشاهير أولاده ففي نسخة من نسخ التوراة: أن آدم عاش مائة وثلاثين سنة ثم ولد على شبهه ولد فسماه شيت[١]، وفي نسخة أخرى: أنه لم يرزق شيت حتى صار له من العمر مائتان وخمسون سنة[٢].

وعاش آدم بعد أن ولد له شيت ثمانمائة سنة / فولد له بنين وبنات ثم مات، ٢/ ٨٤/أ
وكان جميع عمر آدم تسعمائة سنة، [٣] وفي نسخة: ألف وثلاثون سنة[٤].

إحداها: الهدي العام وهو هداية كل نفس إلى مصالح معاشها وما يقيمها، وهذا أعم مراتبه.
المرتبة الثانية: هداية الإرشاد والبيان للمكلفين، وهي التي أثبتها الله لرسوله قال عز وجل: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾.
المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام، وتستلزم أمرين: أحدهما: فعل الرب تعالى وهو الهدى، والثاني: فعل العبد وهو الاهتداء، وهو أثر فعله سبحانه فهو الهادي والعبد المهتدي، قال تعالى: ﴿من يهده الله فهو المهتد﴾، وهي التي نفاها الله عن رسوله قال تعالى: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾.
المرتبة الرابعة: الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة قال تعالى: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ وقال تعالى: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم﴾. (ر: شفاء العليل في ص ١٤١-١٧٩ باختصار).

(١) اتفقت النسختان العبرية والسامرية على ذلك (ر: سفر التكوين ٥/ ٣).

(٢) الصواب: أنه لم يرزق شيث حتى صار له من العمر مائتان وثلاثون سنة، وقد ورد ذلك في النسخة اليونانية أو السبعينية (التي قام بترجمتها ٧٢ حبراً من اليهود عن النسخة العبرية فيما بين عام ٢٨٥ق.م إلى ١٥٠ ق.م) وهي النسخة المعتمدة عند النصارى - ما عدا طائفة البروتستانت الحديثة التي تعتمد النسخة العبرية - وهي النسخة المقصودة في كلام الجويني في كتابه (شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل ص ٣٣، ٣٤) حينما يقول: التوراة التي بيد النصارى.

(٣) اتفقت النسختان العبرية والسامرية على ذلك (ر: تكوين ٥/ ٤، ٥).

(٤) انفردت النسخة اليونانية بذلك.

ثم عاش شيت مائة وخمس [سنوات][1] فولدله أنوش، وعاش من بعد ما ولد له أنوش تسعمائة واثنتي عشرة سنة ثم مات[2] وفي نسخة تسعمائة وسبع سنين[3] ثم رأيت هذا التناقض والتكاذب جارياً في أعمار مشاهير أولاد آدم إلى نوح عليه السلام[4] ، فلم تكد نسخة توافق أخرى وإذا كان هذا ضبطهم للتوراة وهي أُسُّ دينهم فكيف يوثق بهم فيما عداها؟ .

---

(١) في ص، م (سنة) والصواب ما أثبته .

(٢) اتفقت النسختان العبرية والسامرية على ذلك (ر: تكوين ٥/ ٦-٨) .

(٣) انفردت النسخة اليونانية بذلك .

(٤) يعتبر مفسرو العهد القديم بوقوع الأغلاط في ذلك فقد ورد في السنن القويم ١/ ٦٩، ٧٠ مانصه : إن معرفة حقيقة الأعداد في التوراة صعبة جدا، لأن الأسلوب العبراني في ضبط الأعداد كان بأحرف يضم بعضها إلى بعض، وإذ لم يكن لمجموعها معنى سهل تغييرها بلا قصد، ولذلك اختلفت أعداد المواليد في العبرانية والسامرية والبعينية، فالوقت بين طرد آدم من الجنة إلى الطوفان ١٥٨٦ سنة بمقتضى العبرانية، و١٣٠٧ سنة بمقتضى السامرية، و٢٢٦٢ بمقتضى السبعينية، على أن الثلاث تتفق على مدد أعمار الآباء، والظاهر أنه لا يوثق بأعداد البعينية، وأما أعداد السامرية فتقرب من أعداد العبرانية . أ. هـ . وورد في تفسير (هنري وإسكات) جدول كتب فيه في مقابل اسم كل شخص سنة ولادة ابنه الذي يليه في الجدول، وكتب في مقابلة اسم نوح عليه السلام سنوات عمره وقت حدوث الطوفان، والجدول كالآتي :

الاسم	عدد السنوات في النسخة		
	العبرية	السامرية	اليونانية
آدم عليه السلام	١٣٠	١٣٠	٢٣٠
شيث عليه السلام	١٠٥	١٠٥	٢٠٥
أنوش	٩٠	٩٠	١٩٠
قينان	٧٠	٧٠	١٧٠
مهللئيل	٦٥	٦٥	١٦٥
يارد	١٦٢	٦٢	٢٦٢
أخنوخ	٦٥	٦٥	١٦٥
متوشالح	١٨٧	٦٧	١٨٧
لامك	١٨٢	٥٣	١٨٨
نوح عليه السلام	٦٠٠	٦٠٠	٦٠٠
	١٥٨٦	١٣٠٧	٢٢٦٢

==

وليس يمكن إضافة هذا التحريف إلى سواهم فإن التوراة لم ينقلها من اللسان السرياني إلى غيره إلا اليهود وذلك يشعر بتهاونهم بأمور دينهم وإلا فكيف يحسن أن يخبر عن شخص أن عمره مائة سنة، وأن عمره خمسين سنة ويكون الخبران صدقا.

وإذا كان هذا تحريفهم لما لا يتعلق به غرض فما ظنك بتحريفهم لما يتحققون به الدلالة على نقض أصولهم وذلك من مرغوبات النفس وحب الانتصار والتعصب القاضي بعمى البصيرة، ولن يتخلص من ذلك إلا موفق قد / أعانه ٢/ ٨٤/ب الله على قمع هواه وجعل الحق مطلوبه والانقياد إليه مراده ومقصوده، فهو ينقاد إليه حيث دعاه لَبَّاه ولو على لسان عدوه وبذلك وعد الله تعالى فقال عز من قائل: ﴿**ونهى النفس عن الهوى. فإن الجنة هي المأوى**﴾(١).

٨٥ - فضيحة أخرى: زعم النصارى أن المسيح أراد بقتل نفسه تطهيرهم من خطاياهم، فيقال لهم: تطهير من آمن به واتبعه أو تطهير من كفر به وخالفه؟! فإن قالوا: تطهير من كفر به. قلنا لهم: كيف يطهرهم من خطاياهم بأعظم من خطاياهم، وما هذا إلا بمثابة من غسل البول بالعذرة يريد تطهيره فإنه لا يزيد المحل إلا نجاسة، وعلى هذا ينبغي أن يكون اليهود الذين قتلوه

==

كما ورد في نفس تفسير هنري وإسكات: أن أكستائن كان يقول: إن اليهود قد حرفوا النسخة العبرانية في بيان زمان الأكابر الذي قبل زمن الطوفان وبعده إلى زمن موسى عليه السلام، وفعلوا هذا الأمر لتصير الترجمة اليونانية غير معتبرة، ولعناد الدين المسيحي، وكان قدماء المسيحيين يقولون: إن اليهود حرفوا التوراة في سنة مائة وثلاثين بعد الميلاد، وكان هيلز وكني كات يقولان بذلك أيضا.
(ر: للتوسع إظهار الحق ص ٢٠٥-٢٠٨، ٢٦٢، الفصل ١/ ١٢٢-١٢٤ لابن حزم، شفاء الغليل ص ٣٣-٣٨ للجويني، أدلة اليقين ص ١٥٦-١٦٠ للجزيري، دراسة الكتب المقدسة ص ٤٠-٥٠ موريس بوكاي).

(١) سورة النازعات: ٤٠، ٤١.

وصلبوه والأسخريوطي الذي نَمَّ عليه ونمرود وفرعون قد طهروا من خطاياهم وكذلك الهنود والمجوس وكل كافر على وجه البسيطة.

وإن قالوا: إنما أراد تطهير من آمن به واتبعه، قلنا: فكيف تكون معصية العدو طهرةً للولي، وانما يُطَهِّر / الإنسانَ عملُه الصالح وتوبته الصادقة دون ٢/٨٥/أ
كُفْر من كَفَر، ثم إن كانوا قد آمنوا بالمسيح فإيمانهم يطهرهم فلا حاجة إلى قتل المسيح وصلبه.

وإن قالوا: إنما أراد تطهير الحواريين، فيقال: وما هذا الذنب الذي لا يطهره إلا قتل الله وصلبه؟.، وينبغي أن يكون [الحواريون](١) شرار خلق الله إذ كان لا يطهرهم إلا هذا القتل(٢) الذي لا يشابهه قتل(٣)، فليت شعري أَيُّ ذنب لقوم هم عند النصارى خير من جبريل وميكائيل وسائر النبيين والمرسلين؟.

وإن قالوا: إنما أراد بتسليمه نفسه ليتهذَّب الخَلْق و[يتعلموا](٤) الصبر على الشدائد والمحن ولا يضطربوا تحت مجاري الأقدار ليفوزوا بأجور الصابرين، قلنا: فإصلاحه لقلوبهم بخلق الصبر فيها والاحتمال مع بقاء جلاله وعظمته كان أليق بالربوبية، فإن كان إلٰهاً قادراً فهلا أصلح قلوبهم وهذَّب نفوسهم من غير أن يتلبس بما وصفتم من الصفع والضرب والقتل والصلب ليصلحهم.

ثم أي صلاح يظهر في العالم بقتله؟. وأي فساد زال؟. أليس العالم على ما كان عليه / قبل مجيئه؛ السارق يسرق، والفاسق يفسق، والقاتل يقتل، ٢/٨٥/ب

---

(١) في ص، م: الحواريين، وهو خطأ والتصويب من المحقق.

(٢)، (٣) في ص: الغسل، غسل. والتصويب من م.

(٤) في ص، م (يتعلمون) والصواب ما أثبته.

والظالم يظلم، وأسواق الشرور قائمة وعيون الشياطين عن إغواء الآدميين غير نائمة، بل قد زادت الشرور بما ذكرتم زيادة كثيرة لأن أهل العالم بزعمكم قتلوه وصلبوه ونكلوا به وبتلاميذه الذين هم عندكم أفضل من الأنبياء والمرسلين فقد تفاقمت الشرور واتسعت بمصرعه دائرة المحذور، وقد كان أهل العالم قبل مجيئه يعبدون الله تعالى، وإن عُبد صنم ففي العقول السليمة مندوحة عن المتابعة عليه، فلما جاء[1] هذا الذي زعمتم أنه قتل وصلب عبد مع الله غيره..

وإن كابرتم وقلتم: إن الخطيئة قد ارتفعت بمجيء المسيح وقتله صرتم ضحكة بين العقلاء على أنكم قد تأنستم بإزراء[2] العقلاء بكم وتمرنتم على السخرية منكم، ألستم الذين تقرؤن بعد الفطر بجمعتين التبيحة المشهورة عندكم وهي (بصلبوت ربنا يسوع المسيح بطل الموت / وانطفأت فِتَنَ الشياطين ١/٨٦/٢
ودرست آثارها)[3]؟ ألستم تقرؤن يوم الأحد من الصوم التبيحة المشهورة عندكم وهي (أن المسيح هو الذي أنقذ رعيته من الفتن والكفر وغلب بصومه الموت والخطيئة)[4]؟. ألستم الذين تقرؤن بعد كل قربان (يا ربنا يسوع الذي غلب بوجعه الموت الطاغي)[5] كذلك قولكم في ثاني جمعة من الفطير (إن فخرنا إنما هو بالصليب الذي بطل به سلطان الموت، وصرنا إلى الأمل والنجاة بسببه)[6].

---

(١) في ص: جاهد، والمثبت في م.

(٢) في م: بارز.

(٣) وردت هذه التسابيح بألفاظها في رسالة المهتدي الحسن بن أيوب والتي نقل الإمام ابن تيمية جزءاً كبيراً منها في كتابه (الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٠)، ووردت كذلك في النصيحة الإيمانية للمهتدي نصر بن يحيي المتطبب ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٤)، (٥)، (٦) وردت هذه التسابيح بألفاظها في رسالة المهتدي الحسن بن أيوب والتي نقل الإمام ابن تيمية جزءاً كبيراً منها في كتابه (الجواب الصحيح ٣/ ٣٣٠)، ووردت كذلك في النصيحة الإيمانية للمهتدي نصر بن يحيي المتطبب، ص ٢٣٢، ٢٣٣.

وفي هذه التسابيح التي لكم ما يضحك من تأملها إذ يحسن منه أن يقول : كيف بطل الموت بصلب المسيح وموته؟ . ألسنا نرى الموت فاغراً لايشبع ، والشيطان مستمرا على الإضلال والإغواء لا يقلع؟ . وأنَّى يغلب الموت من قد مات وغلب ، ويقهر الشيطان من قد قهر وصلب؟!! .

٨٧ - فضيحة أخرى : النصارى يقرؤن في الصلاة الأولى وهي التي يسمونها صلاة السحر وصلاة الفجر(١) (تعالوا نسجد ونتضرع للمسيح إلهنا أيها الرب

---

(١) يزعم النصارى أن الصلوات المفروضة عليهم في كل يوم سبع صلوات كما ورد في مزمور ١١٨/ ١٦٤ وكما جاء في كتاب قوانين الرسل وابن العسال ، وإن كان الكثيرون منهم يرون أن الانتظام في الصلاة توجيه اختياري لا إجباري ، وتنقسم الصلاة إلى فردية وجماعية ، وأوقات الصلوات السبع وأسباب تخصيصها عندهم كالآتي :

١- صلاة باكر (الفجر) ، رتبت وقت شروق النور عند الفجر عند القيام من النوم وفيها شكر الله على حراسته لهم فيما مضى من الليل ويسألونه أن يحفظهم في هذا اليوم بغير خطيئة .

٢- صلاة الساعة الثالثة (حوالي التاسعة صباحا) لأنه في الساعة الثالثة من النهار حل الروح القدس على التلاميذ الأطهار.

٣- صلاة الساعة السادسة (وقت الظهر تقريبا) لأنه في تلك الساعة صلب المسيح وسمرت يداه ورجلاه ، فينبغي الصلاة فيه ليساعدهم المسيح على النصرة في جهادهم .

٤- صلاة الساعة التاسعة (حوالي الرابعة بعد الظهر) ورتبت في هذا الوقت لأن يسوع نادى فيه بصوت عظيم : (يا أبتاه في يديك أستودع روحي ، ولما قال هذا أسلم الروح . . . الخ) فَيُصَلُّون ليصنع معهم رحمة .

٥- صلاة الغروب : رتبت شكراً لله على حفظه لهم طول النهار ومباركته أعمالهم ويسألونه أن يحرسهم .

٦- صلاة نصف الليل : رتبت شكراً لله الذي أجاز النهار بسلام ويسألونه أن يجيز الليل بسلام .

٧- صلاة نصف الليل : حيث يكون فيها الهدوء من قلق العالم .

ولما كانت كلمة (ساعة) هي (آجب) بالقبطية كان الكتاب المتضمن لهذه الصلوات اليومية يعرف بـ (الأجبية) ، ويزعمون بأن هذه الصلوات شائعة الاستعمال منذ القرون الأولى . (ر: ترانيم ومدائح منتخبة (للكنيسة القبطية) ص ٥-٨، قصة الكنيسة القبطية ص ٥٠٦ إيريس حبيب ، بتصرف ، المسيحية ص ٢٣٤ د. أحمد شلبي) .

خروف الله ارحمنا، أنت وحدك القدوس المتعالي، أيها المسيح الرب إنا بكل / ٢/٨٦/ب كل يوم إلى الأبد).

اعلم أن هذه الصلاة للمسيح خاصة وقد صرحوا فيها بأن المسيح هو الله الرب وأنه وحده المتعالي المبارك إلى الأبد، وهو كما ترى الكفر الصراح الذي لا غبار عليه وهو باطل بالتوراة والإنجيل والنبوات والمزامير، فأما التوراة فليس فيها شيء من هذه النجاسات ألبتة بل هي مشحونة بتوحيد الباري إلٰه إبراهيم وتنزيهه وإفراده بالربوبية وقد قال في السفر الخامس منها: (الرب واحد في السماء والأرض وليس غيره)(١) وقال سبحانه في العشر الكلمات (أنا الله الذي أخرجتك من مصر لا يكن لك إلٰه غيري)(٢) وقال الله تعالى في التوراة (لا تتخذوا أصناما ولا أشباها لما في السماء فوق ولا في الأرض أسفل ولا في البحر تحت، ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها أنا الله إلٰه غيور)(٣) وقد كلم الله في التوراة آدم ونوحا وإبراهيم ويعقوب وموسى وهارون وأمرهم ونهاهم كل ذلك(٤) يقول: أنا الله وحدي. وقال الله لموسى: أنا الله إلٰه آبائك ابراهيم وإسحاق ويعقوب لايكن لك إلٰه غيري/)(٥). ١/٨٧/٢

فحذرهم من الإشراك واتخاذ إلٰه آخر وذلك من أدل الدليل على كفر النصارى(٦).

وأما الإنجيل فقال المسيح (لا يقدر أحد أن يعبد رَبَّين)(٧) وقال (لا صالح إلا الله الواحد)(٨)، وقال: (أول الوصايا كلها في الناموس اسمع يا إسرائيل

---

(١) تثنية ٤/ ٣٩.
(٢) خروج ٢٠/ ٢، ٣.
(٣) تثنية ٥/ ٦ - ٩.
(٤) في م: كذلك.
(٥) خروج ٢٠/ ٢, ٣.
(٦) في م: الكفر.
(٧) متى ٤/ ١٠، لوقا ١٦/ ١٣.
(٨) متى ١٩/ ١٧.

الرب الإلـه واحد هو، فـاحببه من كل قلبك)[1]، وقال المسيح لليهود: (أنتم تمجدون نفوسكـم ولا تمجدون الله)[2]، (وسئل عن القيامة فقـال: لا يعرفها إلا الله وحده)[3] (ورفع وجهه إلى السماء وقال: أنت الإلٰه الحق وحدك)[4].

وأما المزامير والنبوات فكلهـا توحيد أيضا وليس فيهـا من كفر النصارى شيء ألبتـة، قال داود في المزمـور السـابع عشر (اللـه لا ريب في سبلـه، كلام الـرب مختبر، وهو منجي من توكل عليه، لا إلـه إلا الرب، لا عزيز مثله)[5] وقال في المزمور التـاسع عشر (الرب يـستجيب لك، في يوم شدتك إلـه يعقوب ينصرك، ويرسل لك عـونا من قـدسه، ومن صهيون يعضـدك سؤلك، هـؤلاء / بالخيل ٢/٨٧/ب وهؤلاء بالمراكب، ونحن باسم إلٰهنا ندعو)[6].

فقد وضح لك أن هـذه الصلاة التي للنصارى مقصـورة على عبادة رجل من بني آدم وأنها باطلة بما نصت عليه كتب الله المنزلة.

٨٧ - فضيحة أخرى: النصارى يقرؤون في صلاة الساعة الأولى[7] (المسيح الإله الصـالح الطويل الروح الكثير الـرحمة الداعي الكل إلى الخلاص)[8] هذه

(١) مرقس ١٢/ ٢٩.
(٢) لوقا ١٦/ ١٥، ١٦.
(٣) متى ١٩/ ١٧.
(٤) يوحنا ١٧/ ٣.
(٥) مزمور ١٨/ ٣٠، ٣١.
(٦) مزمور ٢٠/ ١-٥.
(٧) يقصد المؤلف بها (صلاة الساعة التاسعة).
(٨) وردت هـذه القـراءة في كتـاب (تـرانيم ومـدائح منتخبـة للكنيـسة القبطيـة بص ٢٣)، وفي كتـاب العبادات المسيحية ص ٦٧ للأرسمـندريت الياس، وذكر فيها أن هذه القراءة تقـرأ أيضا في آخر كل ساعـة من الصلوات. ونصهـا كالآتي: (ارحمنا يـا الله ثم ارحمنـا. يا من في كل وقت وكل سـاعة في السماء وعلى الأرض مـسجود له وممجد. المسيح إلهنا الصـالح الطويل الروح، الكثير الرحمة، الجزيل التحنن، الذي يحب الصديقين ويـرحم الخطاة الذين أولهم أنا، الذي لا يشـاء موت الخاطئ مثل ما يرجع ويحيا، الداعي الكل إلى الخلاص لأجل الموعد بالخيرات المنتظرة..).

الصلاة أيضا من[1] النمط الأول وهي باطلة بشهادة المسيح إذ نطق الإنجيل (بأن إنساناً قال : يا معلم صالح ما أعمل من الصلاح؟ فقال : أتدعوني صالحا؟! لا صالح إلا الله وحده)[2] وإذا لم يرض المسيح أن يكون معلما صالحا بل[3] أنكر ذلك وأولى الصلاح لله وحده، فكيف تَخَطَّا النصارى أمره وزادوا حتى سموه الإله الصالح؟ وإذا أنكر عليه السلام القول الأول فالأولى أن ينكر هذه الصلاة وهذه القراءة، ثم قول النصارى (المسيح الإله الصالح) وتخصيصه بذلك دون الآب والروح القدس فيه إبطال لمذهبهم في الثالوث إذ لا خلاف عندهم / أن التعبد لأقنوم الكلمة على تجردها ليس بجائز، إذ الإله ٢/٨٨أ
المحقوق بالعبادة هو عبارة عن ثلاثة أقانيم وهي الآب والابن والروح القدس.

فما لم يتوجه المكلف بالعبادة إلى هؤلاء الثلاثة لم تعتبر عبادته، فإذا قصدوا المسيح بهذه الصلاة فإنما قصدوا أقنوماً واحداً والمسيح عندهم [ما][4] اتحد به سوى العلم، فأما الآب والروح فما اتحدا به، ثم هذه القراءة منهم تشعر بأن المسيح أصلح الثلاثة ثم لا يخلوا أن يقصدوا بهذا القول لاهوت المسيح أو ناسوته، فان قصدوا ناسوته لزمهم أن يكون الجسد المخلوق إلهاً خالقا وذلك جهل، وإن قصدوا لاهوته وهي صفة العلم لزمهم أن يكون صفات الله من العلم والقدرة آلهة معه وذلك لا يقول به عاقل.

وأما قولهم (الطويل الروح) فإن عنوا به الروح التي زعموا أنها جاءته عند المعمودية فتلك إن كانت قديمة لم يصح وصفها بطول ولا قصر إذ كل ما دخله المساحة وكان له طول / وعرض وعمق فهو جسم مخلوق حادث، وإن عنوا به ٢/٨٨ب

(١) ليست في (م).
(٢) متى ١٩ / ١٧.
(٣) ليست في (م).
(٤) في ص، م (فما) والأولى حذف الفاء.

روح الانسان على معنى أن المسيح صبر في زعمهم على إهانة اليهود مع قدرته على الانتصار فقد ناقضوا قولهم (إنه الإله الصالح) إذ الإله هو الذي لا تمتد إليه الأيدي وهو الذي يأمر عباده بالصلاح، أما من يشرع الفساد فلا يستحق اسم الصلاح، وأما قولهم (الداعي الكل إلى الخلاص) فنقول: أدعاهم وأراد هدايتهم أم دعاهم ولم يرد ذلك؟. فإن كان قد أراد هدايتهم فلم يهتدوا فقد تحقق عجزه إذ لم تنفذ إرادته ومثل هذا لا يصلح للربوبية، وإن كان قد دعاهم ولم يرد هدايتهم فقد ظلمهم بعدم إرادة هدايتهم وقد فعل الشر وضد الصلاح. وهذا يهدم أصول النصارى في القول بالتحسين والتقبيح، وإن زعموا أنهم قد اهتدوا بدعائه أكذبهم شاهد الوجود.

٨٨ - فضيحة أخرى: النصارى يقرؤون في صلاة الساعة الثالثة (يا والدة الإله السماوي أنت هي الكرمة الحقانية الحاملة ثمرة / الحياة إليك نتضرع ١/٨٩/٢ لترحمي نفوسنا يا والدة الإلٰه السماوي افتحي لنا أبواب رحمتك)[١].

أول ما نبدأ به أن نقول للنصارى: أخبرونا هل هذا القول منكم من أصول العقائد التي لا يسع المكلف جهله أو لا؟ فإن زعموا أنه لا بد للمكلفين من اعتقاده والصلاة به وأنه لا رخصة لعبد حتى يعتقد أن لله والداً ولده وأُمّا حملته وأرضعته.

فإن قالوا لا يسع[مؤمنا][٢] إلا ذاك، قلنا لهم: أخرجتم آدم وإبراهيم وموسى ومن بينهم من المؤمنين عن الإيمان اذ لم يعرفوا ذلك ولا اعتقدوه ولا سمعوا به، ولو كان ذلك إيمانا وتوحيداً لم يجهلوه، وإن زعموا أن موسى وإبراهيم ومن بينهم كانوا يعتقدون أن لله والدة حملت به ووالداً ولده، قلنا لهم: أرونا ذلك في توراة موسى ونبوات الأنبياء وأنَّى يجدون إلى ذلك سبيلا.

---

(١) ورد معنى هذه القراءة في كتاب (إنجيلك نور لحياتي ٣/ ١٣٦٦، ١٣٦٧).

(٢) في ص، م (مؤمن) والصواب ما أثبته.

ثم نقول لهم: ما قولكم فيمن خرج عن دين المسيح وخالفه من طبقات بني آدم أكفارٌ هم أم مؤمنون؟.

فإن / قالوا: إنهم كفار فجار قد هلكوا بتكذيبهم المسيح، قلنا: فقولهم في ٢/٨٩/ب أم المسيح (أنها حملت ثمرة الحياة) كذب وزور وإفك وَمَيْن، إذ الذين هلكوا بانتهاك عرضها وقذفها من اليهود وغيرهم أكثر من أن يحصوا فقد كذبتم في قولكم (إنها الكرمة الحاملة ثمرة الحياة) وصارت بمقتضى ما ذكرتم حاملة ثمرة الهلاك كما قال ولدها في الإنجيل (لا تظنوا أني جئت لألقي على الأرض [سلاماً](١) ما جئت لألقي عليها [سلاما](٢) لكن سيفا وأوقد بها نارا)(٣).

وإذا كان هذا قول المسيح وهو الثمرة التي ذكرتم فما صدقتم في تسميته في صلاتكم (ثمرة الحياة)، واعلم أن هذه الصلاة أيضا مقصورة على عبادة مريم عليها السلام وهي خارجة عن أصول النصارى لأن جسد مريم لم يتحد به شيء عند كافة النصارى بل جسدها كسائر أجساد بني آدم، فلو جاز أن يعبد مريم لكونها حملت بالمسيح عن عدة الله لجاز أن تعبد أليصابات(٤) وسارة وهاجر اذ حملوا عن عدة الله تعالى، فقد زاد النصارى على الثالوث/ إلها رابعا ٢/٩٠/أ وخالفوا أهل ملتهم من القدماء.

٨٩ - فضيحة أخرى: النصارى يقرؤون في صلاة السادسة (يا من سُمِّرت يداه على الصليب من أجل الخطيئة التي تجرأ عليها آدم، خرق العهدة المكتوب فيها خطايانا وخلصنا، يا من سُمِّر على الصليب وبقي حتى لصق على الخشبة

---

(١)، (٢) في ص، م (سلامة) والتصويب من النص.

(٣) متى ١٠/ ٣٤، لوقا ١٢/ ٥١.

(٤) أليصابات: صيغة يونانية للاسم العبري (أليشبع) أي (الله قسم)، وهي امرأة زكريا وأم يوحنا المعمدان عليهما السلام. (ر: لوقا ١/ ٥، ٤٥، قاموس ص ١١٣).

بدمه قد أحببت المهات لموتك، أسألك بالمسامير التي[1] سمرت بهم، نجني يالله)[2] هذه القراءة وإن كانت تصلح لتعاليق المجان ومن يعتن بالأضاحيك فلا بد أن نبين مراد النصارى بها، ومرادهم، أن آدم أبيح له كل شجر الجنة وقيل له: كُلْ مَا أحببت خلا شجرة معرفة الخير والشر فإنك في اليوم الذي تأكل تموت موتا، قالوا: فلما أكل وخالف أمر ربه وجب في حكم الله تعالى أن يميته موت الخطيئة لا موت الطبيعة إذ سبق في علم الله أنه لا يفرغ العالم من نسله فلما ورد عليه العتاب والتوبيخ أسف وندم على ما فعل وأنه تعالى تاب عليه وبقي في عهدة قوله السابق / فلطف له وبعث المسيح فصام بدلا من ٢/ ٩٠/ب
توسع آدم في تناول الشجرة، وصلب على خشبة بدلا من تيك الشجرة، وسمرت يداه بالجذع لا متدادها إلى الثمرة المنهي عنها، وسقي المرار لالتذاذ آدم بحلاوة ما أكله من الجنة، ومات بدلا عن الموت الذي كان الله يهدد به آدم، وهذه دعوى لا برهان لهم عليها ولو ادعاها بعض الناس لبعض من صلب في الدنيا قَبْل المسيح أو بعده لما وجد النصارى إلى رد ذلك سبيلا، وليس ـ وعزة الله ـ لما لفقوه من ذلك أصل في كتب الله لا في العتيقة ولا في الجديدة[3].

وقولهم (خرق العهدة التي كتبت فيها خطايانا وخلصنا) وذلك أنهم يعتقدون أن خطيئة آدم التي جناها على نفسه قد شمل وزرها وتبعتها سائر ولده حقبا بعد حقب وقرنا بعد قرن إلى مجيء المسيح وقد أبطلنا ذلك فيما تقدم وتلونا ما ورد في التوراة والإنجيل والمزامير مما يكذب هذه الدعوى[4].

---

(١) ليست في م.

(٢) ورد معنى هذه القراءة في كتاب العبادات المسيحية ص٦٦، تحت عنوان صلاة الساعة السادسة.

(٣) يقصد المؤلف أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد.

(٤) ر: ص٣٧٢، ٣٧٣.

٢/٩١/أ وقد قالت التوراة: (إن الله / قال لقابيل بن آدم: إن أحسنت تقبلت منك، وإن لم تحسن فإن الخطيئة رابضة ببابك أنت تقبل إليها وهي تتسلط عليك)(١).

فقد أخبرت التوراة أن في إحسان المحسن وقبول البر من الرجل البار مندوحة عن قتل المسيح وغيره. وقالت التوراة أيضا: (أما هابيل فإنه يجزئ للواحد سبعة)(٢) وفي ذلك مندوحة عن القتل والصلب إذ الجزاء خلاص وزيادة.

وقال الله تعالى في المزامير: (طوبى للرجل الذي لم يتبع رأي المنافقين ولم يقف في طريق المستهزئين ولم يجالس الخاطئين لكن في ناموس الرب هواه، يدرس ليلا ونهارا)(٣) فقد شهد المزمور أن الاشتغال بقراءة كلام الله وعبادته مخلِّص لصاحبه وأن طوبى له، فلا حاجة إلى الخلاص بشيء آخر وإلا فيلزم تكذيب داود في خبره عن الله تعالى وقد قال التلاميذ للمسيح وسألوه: من العظيم في ملكوت الله تعالى؟ (فقال: من تواضع مثل الصبيان فهو العظيم في ملكوت الله)(٤).

فقد أخبر المسيح أنه لا حاجة إلى قتل وصلب بل من تواضع لله ولم يتكبر
٢/٩١/ب كفاه ذلك وخلصه/، والعجب كيف تحكَّم النصارى بصحة توبة آدم ويقولون: إن ذريته مأخوذون بجريرته وقد رووا في بعض نبوات أنبيائهم عن الله (لا آخذ الولد بذنب والده، ولا الوالد بذنب ولده، طهارة الطاهر له

---

(١) تكوين ٤/ ٦، ٧.

(٢) تكوين ٤/ ١٥.

(٣) ١/ ١، ٢

(٤) متى ١٨/ ١-٤، مرقس ٩/ ٣٤-٣٧.

تكون وخطيئة الخاطئ عليه تكون)[1] وذلك موافق لقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[2]، والعجب كيف يثبتون عند سماع هذه القراءة ولا يستغربون ضحكا، ولعمري ما بلغ أعداؤهم منهم ما بلغوا من أنفسهم في جعل مثل هذا السخف قرآنا يتلى.

٩٠ - فضيحة أخرى: النصارى يقرؤون في صلاة الساعة التاسعة (يا من ذاق الموت من أجلنا في الساعة التاسعة إليك ابتهالنا، يا من سلَّم نفسه إلى الآب لمَّا علق على الصليب لا تغفل عنا، يا من من أجلنا ولد من العذارء، واحتمل الموت، لا تخيب من خلقت بيديك واقبل من والدتك الشفاعة فينا، ولا تنقض عهدك الذي عاهدت عليه إبراهيم وإسحاق ويعقوب)[3] وفي هذه الصلاة يقرؤون أيضا (لما رأت / الوالدة[4] الحمل والراعي ومخلص العالم على ٩٢/٢أ
الصليب قالت وهي باكية: أما العالم ففرح[5] بقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عندما أنظر إلى صلبوتك يا بني).

والغَيُّ قولهم (يا من ذاق الموت من أجلنا) قد بينا خُلُو هذه الدعوى عن الفائدة، وأن القتل والصلب وقع باطلاً، إذ[6] الخلاص الذي قتل لأجله لم يعرفوا له حقيقة ولا وقفوا من أمره على نبأ إلى الساعة، وما هو إلا عنقاء

---

(١) سفر حزقيال ١٨/ ٢٠.

(٢) سورة الانعام: ١٦٤.

(٣) وردت هذه القراءة في كتاب العبادات المسيحية، ص ٦٧.

(٤) في م: فقدح.

(٥) في م: الوالدات.

(٦) ليست في (م).

مغرب[1] يُسمع به ولا يُرى، على أن هذه القراءة مع أنها سبَّةٌ[2] على قارئها ففيها تناقض لا يخفى على من تأمله، وذلك: أن أولها يشهد بأنه قتل وصلب وذاق الموت من أجل خلاصهم، وقد سمته أمه بزعمهم (مخلص العالم) فما حاجتهم إلى التضرع إليه ألا يخيبهم ولا يغفل عنهم وأن يمدوا إليه بشفاعة والدته؟ أهم شاكون في خلاصهم بقتله وصلبه؟. أم يقولون إن الأب لم يفِ له فخسر نفسه ولم يحصل لهم خلاص؟!!

وأما قولهم (ولا تنقض عهدك الذي عاهدت عليه إبراهيم / وإسحاق ويعقوب) فذلك غلط من النصارى إذ ما عاهد إبراهيمُ وإسحاقُ ويعقوبُ الأبَ، وقد قال المسيح (الله لم يره أحد قط) وعلى مقتضى هذه الصلاة المدبرة يكون المصلوب المُسَمَّر اليدين بالمسامير هو الأب الذي عاهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب، والذي غلَّط النصارى ها هنا قول أفريم ـ من جهال سلفهم ـ : (ان اليدين التي جبلت طينة آدم هي التي علقت على الصليب، وان الشبر الذي مسحت السماء هي التي سمرت في الخشبة). فأستغفر الله من حكاية أقوال هؤلاء الضلال. ٢/٩٢/ب

وأما قولهم (إن والدة إلٰه إبراهيم وإسحاق ويعقوب واقفة تبكي تحت خشبته وتناديه يا بني وإلٰهي أحشائي تحترق لصلبك) فلو سمعه بعض المجان لاتخذه من أظرف ما يمجن به، لأن حاصله أن ابنها إلٰهها الذي ولدته، وخالقها هو ولدها الذي أرضعته.

---

(١) العنقاء: الداهية، وطائر معروف الاسم مجهول الجسم، أو طائر عظيم يبعد في طيرانه، أو من الألفاظ الدالة على غير معنى، كما في القاموس ص ١٥٤.

(٢) في م: سيئة.

ولاشتمال صلوات النصارى على هذا السخف يبالغون في ستر أحوالهم ولا يُعجبهم أن يحضر بِيَعهم أحد غيرهم .

٢/٩٣أ ٩١ - فضيحة أخرى : / النصارى يقرؤون في صلاة الغروب (يا والدة الإلٰه العذراء أسعي في خلاصنا وافرحي يا والدة الإله ، مباركة أنت في النساء ومبارك ثمرة بطنك لأنك ولدت لنا مخلصا ، يا والدة الإله لا تغفلي عن وسائلنا[١] ونجنا من المعاطب)[٢] وفي هذه الصلاة (يا صابغ المسيح يوحنا اذكر جماعتنا ونجنا) .

قولهم (يا والدة الإله) اعلم أن الألوهية عندهم تكون حقيقة وتكون مجازاً ، فالإله الحقيقي هو الله الآب عندهم ، والإله المجازي هو المعظم في الدين الذي يدعو إلى الله ويعلم الناس أوامر الله ويبين لهم أحكامه ، فإن عنوا هاهنا الإله الحقيقي سقطت مكالمتهم لبيان جنونهم .

وإن عنوا القسم الثاني وهو الإله الذي هو مُعظم في الدّين كقول الله في التوراة لموسى عليه السلام (أخوك هارون يكون لك مترجماً وأنت تكون له إلٰهاً ومدبراً)[٣] وكقول داود لعلماء بني إسرائيل في المزامير (أنا قلت : إنكم آلهة
٩٣/ب وبني العلي كلكم تدعون)[٤] وكقول حبقوق النبي / (إلٰه يأتي من التيمن ومقدس من جبال فاران)[٥] يصف نبيا يخرج من الحجاز صلوات الله عليه وسلامه .

---

(١) في م : وساليفا .

(٢) وردت هذه القراءة في كتاب ترانيم ومدائح منتخبة ص ٢٠ ، ٢١ .

(٣) خروج ٧/ ١ .

(٤) مزمور ٨٢/ ٦ .

(٥) سفر حبقوق ٣/ ٣ .

فإذا قال النصارى في صلواتهم (يا والدة الإله) لَمْ يُعلم من هي المَدْعُوَّة، أهي أُمُّ[1] إبراهيم فإنه في التوراة عظيم[2] الله، أَمْ[3] أُمُّ إسرائيل فإنه في التوارة بكر الله، [4]أَمْ والدة موسى فإنه في التوراة [إلٰه ومدبر][5]، أَمْ [إحدى][6] أمهات أصحاب داود فإنهم في المزامير آلهة[7] ؟! وإذا كان هؤلاء يُدْعَوْن آلهة فقد صار اللفظ مجملا، فمن التي دعوها لتنجيهم من المعاطب وتسعى في خلاصهم؟!

وقد زادوا في هذه الصلاة إلٰهاً سادسا وهو يوحنا إذ قالوا (يا يوحنا صابغ المسيح نجنا من المعاطب)، فصارت الآلهة ستة: الآب والابن وروح القدس والمسيح ومريم والمعمداني، وفي دعائهم يوحنا وطلبهم النجاة منه تكذيب لهم في دعوى الخلاص بقتل المسيح، إذ لو كانوا قد خلصوا بالمسيح لم يفتقروا إلى دعاء غيره، وحيث احتاجوا إلى الغير دل أنهم ما خلصوا وصار ما ادعوه من قتل/ المسيح خاليا عن الفائدة. ٢/٩٤أ

٩٢ - فضيحة أخرى: النصارى يقرؤون في صلاة النوم (الملائكة يمدحونك بتهليلات مثلثة، لأنك قبل الكل لم تزل أيها الأب، وابنك نظيرك في الابتداء، وروح القدس مساويك في الكرامة، ثالوث واحد).

---

(١) في م: امرأة.

(٢) يشير إلى ما ورد في سفر التكوين ١٢/ ٢ (فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك).

(٣) ليست في (م).

(٤) يشير إلى ما ورد في سفر الخروج ٤/ ٢٢ (هكذا يقول الرب إسرائيل ابني البكر).

(٥) في ص، م (إلها ومدبرا) والصواب ما أثبته، يشير إلى ما ورد في سفر الخروج ٤/ ٢٢ (وهو يكون لك فماً وأنت تكون له إلٰهاً).

(٦) في ص، م (أحد) والصواب ما أثبته.

(٧) يشير إلى ما ورد في سفر المزامير ٨٢/ ٦ (إنكم آلهة وبنو العلي كلهم).

أما قولهم إن الملائكة يعتقدون الثالوث الذي يقولون به فبهت قبيح وكذب صريح بَنَوْهُ على فاسد معتقدهم، وإلا فمن أين علموا أن اعتقاد الملائكة ما حكوه عنهم والدليل على تخرص ذلك على الملائكة التوارة والإنجيل والمزامير فإنها شاهدة بالتوحيد وتنزيه الباري عن الثاني والثالث، وقد قال لوقا: ان جبريل حين خاطب مريم وسلّم عليها ارتاعت منه، وقالت: ما هذا السلام؟ فقال لها جبريل: اعلمي أني أنا جبريل الواقف قدَّام الله جئتك أبشرك(١). وقد أكثرنا من ذكر الشواهد على التوحيد مما يقضي ببطلان هذه القراءة وتبين تخرص من ألّفها.

٢/٩٤/ب وفي قول النصارى / ها هنا (لأنك قبل الكل لم تزل) يدل على حدث الابن والروح القدس لتأخرهما(٢) عن الأب في الوجود، إذ لو كانا قديمين لم يكونا مسبوقين، فإن عبر النصارى عن صفتي العلم والحياة بالابن والروح، قلنا لهم: فالصفتان قديمتان أيضاً، فكيف يكون الأب قبل الكل والصفة لا تتأخر عن موصوفها؟ فالقراءة على ذلك باطلة. فنحن نسألهم عن الابن والروح أهما [إلٰهان أزليان أو مخلوقان حادثان](٣)؟

فان كانا حادثين(٤) مخلوقين فقد أبطلوا القول بألوهيتهما وأبطلوا القول بالتثليث، وإن كانا إلٰهين خالقين بطل أن يكون الأب سابقا لهما وفسدت هذه التلاوة.

---

(١) لوقا ١/ ٢٨-٣٠.

(٢) في م: إذ اخرهما.

(٣) في ص، م (إلهين أزليين أو مخلوقين حادثين) والصواب ما أثبته.

(٤) (فإن كانا حادثين) ليست في (م).

وأما قولهم (ثالوثا واحدا) فلا تظن أنهم يعتقدون أنها صفات للذات بل مرادهم أن الآلهة ثلاثة فقط بغير رابع، والدليل عليه إفراد كل واحد منهم بالذكر والتعبد والسؤال كما شهدت به الصلوات والأمانة التي لهم والتسابيح، ولو كانوا يردون ذلك إلى أنهم صفات للذات لاقتصروا على افراد / ٢/٩٥/ الله تعالى بالذكر كما أفرد موسى وعيسى والأنبياء عليهم السلام. فهل تجدون في التوراة والنبوات للتثليث ذكراً ألبتة؟ على أن النصارى قد عبدوا بني آدم، ألا تراهم كيف يقرءون في الصلاة الأولى (تعالوا نسجد تعالوا نتضرع للمسيح إلهنا) والمسيح هو المولود الذي ولدته مريم عليها السلام.

٩٣ - فضيحة أخرى: النصارى يقرؤون في صلاة نصف الليل وهي الثامنة (تبارك الرب إله آبائنا وفوق المتعالي إلى الدهر، تبارك[١] مجدك القدوس فوق المسيح وفوق المتعالي إلى الدهر، مبارك أنت فوق المسيح وفوق المتعالي إلى الدهر)[٢] وكرروا هذه الفوقية في هذه الصلاة دفعات، فوصفوا الله تعالى بأنه فوق المسيح وفوق من هو أعلى من المسيح وذلك مناقض لما قرؤوه في صلاة النوم إذ قالوا فيها (إن المسيح نظير الله في الابتداء وإن روح القدس مساويه في الكرامة). فإن كان الله فوق المسيح بطل قولهم أنه نظيره، وإن كان المسيح نظيره بطل أن يكون فوقه/، فلابد من إبطال أحد القراءتين ضرورة الوفاء[٣] ٢/٩٥/ب بالأخرى.

ثم نقول لهم: أليس أقنوم الوجود وأقنوم الحياة وأقنوم العلم متساوية في الأزلية والقِدَم واستحقاق الربوبية، فما الذي خصص أحدهم بالفوقية دون الآخرين وليس متقدما عليهم؟.

---

(١) (تبارك مجدك ... إلى آخر الصلاة) ليست في (م).

(٢) ورد معنى هذه القراءة في كتاب (ترانيم ومدائح منتخبة ص ٣٣، ٣٤).

(٣) في م: بالوفاء.

فان أبيتم إلا إثبات الفوقية لـه عليهما فقد أثبتم أنهما دونـه، وذلك تشويش للثالوث وان وفيتم[1] بالثالوث أبطلتم هذه القراءة ولا سبيل إلى إبطالها، فإن التوراة والإنجيل والنبوات شاهد لها[2] بالصحة إذ خصصت الباري بالألوهية ووصفته بأنه المتعالى فوق المسيح وفوق كل شيء، جلّ وعلا وتقدس عما يقول الجاحدون علواً كبيراً.

فهذه بهديكم ثمان صلوات قد اشتملت على الكفر والبهت والفجر وقلة الحياء، وذلك أن أحدهم يقوم [مضمخا][3] ببوله فيتوجه إلى مشرق الشمس - وهي جهة كان المسيح وغيره من الأنبياء يتنكبها في صلاته - فيناجي رجلا من بني آدم فيقول في قراءته: يا من قتله اليهود وصلبوه، وسمروا يديه على خشبة وتركوه على جذعة بين اللصوص حتى أسالت الشمس دمه وحتى لصق بالخشبة / جسده، بحرمة المسامير التي سمرت بها في يديك ارحم من خلقت ١/٩٦/٢ بيديك[4] يالله.

وهذا - حوشيتم - لو خوطب به زعيم قرية أو رئيس محلة لتطيَّر من سماعه وعجَّل العقوبة لقائله، فكيف بمن يناجي بذلك إلٰهه وربه جل وعلا؟

سؤال على النصارى:

نقول للنصارى: أخبرونا ما الذي صنعه الله بيسوع حتى صار ابناً له إذ لم تقولوا بالبنوة المعروفة المتحدة من الزوجة والمملوكة؟

---

(١) في م: أفيتم.

(٢) ليست في (م).

(٣) في ص، م (متضمخ) والصواب ما أثبته.

(٤) في م: تكرر (أرحم من خلقت بيديك).

فان قالوا: مسحه فصار بمسحه له مسيحا وابناً، قلنا: أبينوا لنا هل مسحه بدهن؟، فإن قالوا: نعم، ساووا بينه وبين داود وغيره إذ قال داود في مزاميره: (صبيا كنت في غنم أبي فأخذني ربي ومسحني بدهن مسيحه)[1] وقال داود في مزمور آخر: (ائتمر[2] الشعوب على الرب وعلى مسيحه)[3] يعني نفسه، وقال الله تعالى في السفر الثالث من التوراة ويسمى سفر الكهنة: (إن الحبر الممسوح من أولاد هارون هو الذي يتولى القرابين ورش الدم على زوايا المذبح)[4] وذلك مشهور عندهم فالمسيح هو الممسوح فما زادوا أن وصفوه بوصف / كاهن. وفي الإصحاح الخامس من هذا السفر (قال الله لموسى: ٢/٩٦/ب اعمد إلى هارون وبنيه وخذ اللباس ودهن[5] المسيحين الذي يمسح به الأحبار وخذ الجماعة كلها إلى باب قبة الأمد، وقدم هارون وألبسه لباس الكهنة وكلله بأكليل من ذهب وصب على رأسه من دهن المسيحين [وامسحه][6] وقدسه. ففعل موسى ذلك بهارون)[7].

فما نرى المسيح له مَزِيَّة على داود وهارون في ذلك، وما نراه نسج له إلا على منوال من تقدم من صفوة الله تعالى.

وقد حكوا عن إنجيل لوقا أن جبريل بشّر مريم بأن ولدها المسيح بن داود يجلسه الرب على كرسي أبيه داود ويملكه على بيت يعقوب، وذلك يتقاضى أن

---

(١) مزمور ٢٣/ ٥، ٨٩/ ٢٠.

(٢) في م: أقيموا.

(٣) مزمور ٢/ ٢.

(٤) لاويين ٤/ ٥، ٦.

(٥) في م: وهني.

(٦) في ص، م (ومسحه) والصواب ما أثبته.

(٧) سفر الخروج الإصحاح (٨).

يكون[1] أفضل منه أو معه في رتبة الفضل، ــ فيالله العجب ـ جبريل يخبر عن الله أن المسيح هو ابن داود، وأنتم تقولون كلا ولكنه رب داود، لقد تباعد ما بينكم وبين جبريل ومن كان عدواً لجبريل الأمين فهو لا شك عدو لله رب العالمين.

وإن قالوا: إنما جعله مسيحاً وابنا بتسمية سماه بها وسمى نفسه ابنا له،

٢/٩٧/أ قلنا: وكذلك يعقوب إذ حكيتم / لنا عن التوراة أن الله تعالى قال لموسى: (ابني بكري إسرائيل)[2]، والبكر أَجَلُّ قَدراً عند والده من غير البكر على ما لا يخفى، والتوراة تشهد بأن للولد الأكبر سهمين في الميراث ولغيره سهم واحد[3] ثم[4] هو جَدُّ المسيح وعامة الأنبياء من نسله فهلاَّ عبدتموه واتخذتموه إلٰهاً؟!

وإن زعموا أن المسيح إنما سماه الله ابناً للتربية وحسن التأديب ـ فلعمري ـ لئن كان الله قد غَذَّاه بغير رضاع وقوته بسوى الطعام المألوف وألبسه غير الثياب المعهودة وبعث إليه مَلَكا يؤدبه واختلفت الملائكة إلى بيت أُمّه لزيارته وامتثال أوامره ليخالف بينه[5] وبين سائر الناس إن ذلك لموضع شبهة، فأما وأمره في جميع أحواله على ما يعهد من الناس ولم تظهر له آية[6] في صباه ولم يتكلم في المهد كما زعموا ولا زاد إلى أن بلغ ثلاثين[7] سنة على رجل من بني آدم، فما وجه ادعاء ربوبيته وألوهيته؟.

---

(١) في ص (يكونا) والتصويب في م.

(٢) خروج ٤/ ٢٢.

(٣) تثنية ٢١/ ١٥-١٧.

(٤) ليست في م.

(٥) في م: عينه.

(٦) في م: أنه.

(٧) في م: ثلاثون.

ولو أن النصارى قالوا: إنه تكلم في المهد وخلق من الطين كهيئة الطير كما يقول فيه المسلمون لوجدوا شعباً / يستريحون إليه ساعة وساعة. ٢/٩٧/ب

وإن قالوا: إنه إنما صار مسيحاً وابناً بمعمودية يوحنا، فقد اعترفوا بأن مريم لم تلد الابن المسيح في الحقيقة وإنما هي امرأة ولدت طفلاً من أطفال بني آدم، وحينئذ تكون بنوة المسيح مجرد تسمية لا غير، ويستوي حاله وحال من تَقَدَّمه في هذه التسمية من بني إسرائيل، وإن قالوا: إنما اتخذه الله مسيحاً وابناً لأنه أطاعه[1] طاعةً لم يطعها أحد قبله، وعبده عبادة لا يتصور أن يبلغها أحد، فنقول: كيف ذلك وإنما أطاع الله تعالى منذ عقل وبلغ مبالغ الرجال وذلك دون [العشرين][2] سنة وأنتم حكيتم لنا في التوراة أن موسى عليه السلام عَمَّر مائة وعشرين سنة[3] فإذا طرحنا سِنَّ الصبي كان عمر المسيح خُمْسَ عمر موسى، وإذا كان الأمر كذلك فقد زادت أعمال موسى وطاعاته[4] وأَرْبَت على طاعة المسيح، وقد حكيتم لنا أن موسى مَلَك جانباً كبيرا من الأرض وقاتل الجبابرة وجاهد العمالقة وأباد الفراعنة وقتل عوجا مبارزة وواصل[5] / لله ٢/٩٨/٢ أربعين يوما وأربعين ليلة لا يذوق طعاما وابتلي بخلاف قومه وكثرة تلونهم وتعنتهم بالجهل المركوز في طباعهم فصبر عليهم ورفق بهم وساسهم وتلقى أوامر ربه بصدر فسيح وباع رحيب، فلم يهب جباراً وإن عَظُم قَدْرُه ولا نكل عن عدو وإن تفاقم أمره، حتى فتح الشام ودوخ البلاد، ولما دنا حمامه وزمه[6]

(١) في ص: زاد (الله).

(٢) في ص (العشرون) والصواب ما أثبته.

(٣) تثنية ٣٤/ ٧.

(٤) في م: وطاعته.

(٥) في م: زاد (من).

(٦) ليست في م.

من المقدور زمامه، تقدم إلى خادم كان له يقال له يوشع بن نون يفتح باقي بلاد الشام وأفاض عليه من فاضل همته وصحيح عزمته ما شَدَّد شكيمته وأيَّد نحيزته فقاتل أربعة وعشرين مَلِكاً وأبادهم عن جديد الأرض، وهذه عبادات لم يتفق للمسيح عليهما السلام مع نزول سنه، وأنتم أخبرتمونا في الإنجيل أن المسيح كان مذ بلغ الحلم إلى أن ناهز الثلاثين مشتغلاً بتعلم التوراة واقتباس العلم من اتباع موسى فلم يكن يُحَارِب ولا يُحَارَب ولا امتحن بما امتحن به موسى، فقد كذبتم في قولكم / أنه اتخذ ابناً لتقدمه في الطاعات على غيره. ٢/٩٨/ب

وكيف تستقيم لكم هذه الدعوى والمزامير تشهد بخلافها قال داود عليه السلام متنبئا على المسيح: (أقسَم الرب ولا يكذب أنك أنت الكاهن المؤيد تشبه ملكي صادق)(١) فشبه المسيح برجل كاهن كان في زمن إبراهيم الخليل وأقصى درجات الشبه أن يساوي المشبه به في الفضل، وهذا الكلام من داود يفضي بانحطاط درجة المسيح عن درجة إبراهيم وموسى عليهما السلام إذ لا خلاف بين أهل الكتاب أن إبراهيم وموسى أفضل من ملكي صادق هذا الذي شُبه به المسيح فاعلم ذلك.

وإن قالوا: إنه كان [له] (٢)من النية ما لم يكن لموسى ولا غيره ـ والأعمال بالنيات ـ، قلنا: لو عكس عليكم الأمر وقيل لكم: بل نية موسى كانت أعظم وقصده كان أتم وأفخم، فبماذا كنتم تجيبون؟ فإن من كان له من أنواع العبادات والقُربات ما وصفنا فهو أحق بأن يقال أن نيته أعظم من نية غيره فقد بطل جميع ما تمسك / النصارى به في بنوة المسيح واستوت حاله وحال أحبار بني إسرائيل في المسيحية والبنوة. ٢/٩٩/أ

(١) مزمور ١١٠/ ٤ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق، والله أعلم.

وإنما أوردنـا ما أوردنـا من ذلك كسراً لحجج النصارى وهـدماً لأبـاطيلهم، ونحن والحمـد لله أسلم قلـوبا لأنبياء اللـه وأحسن قولا منهـم وأجمل اعتقادا صلوات الله عليهم أجمعين . ا. هـ .